طه شاهين

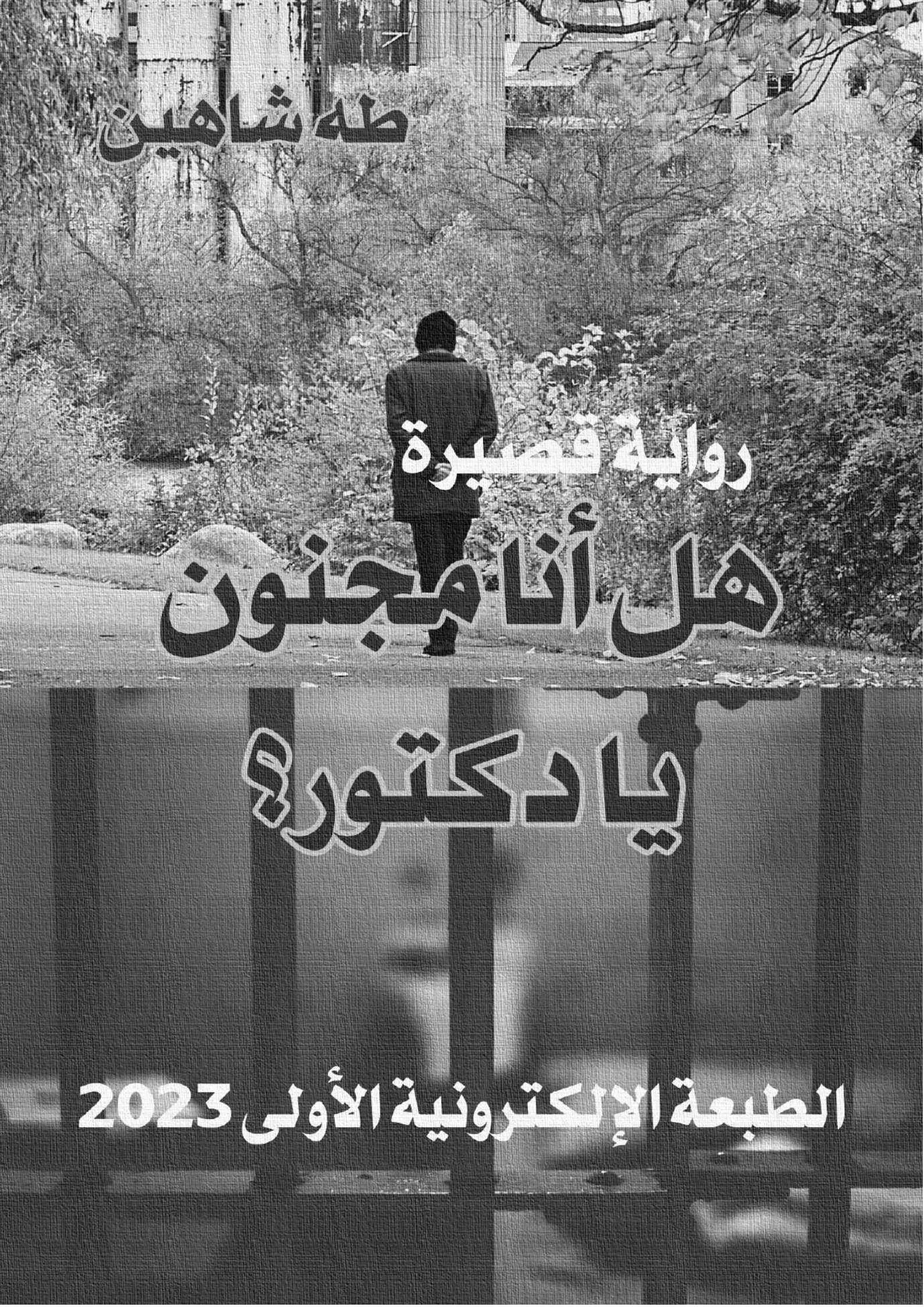

رواية قصيرة

هل أنا مجنون يا دكتور؟

الطبعة الإلكترونية الأولى 2023

رواية قصيرة

هل أنا مجنون
يا دكتور؟

طه شاهين

الكتاب: هل أنا مجنون يا دكتور ؟

النوع: رواية قصيرة

الكاتب: طه شاهين

الغلاف: المؤلف

الطبعة الإلكترونية: ديسمبر سنة 2023

البلد: الجزائر

Email : shahintah@hotmail.com

Facebook: https://www.facebook.com/profile.php?id=61554447867799

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى

كل عاشق للرواية القصيرة

وينغمس في لذة القراءة.

" أنا لا أريد أن أكون جزءاً من هذا العالم."

كل ما أريد هو أن أصنع عالمي الخاص."

" ليس من السهل الوصول للقمة، ولكن من السهل التدحرج منها."

" ليس عيباً أن تتعلم من غيرك، ولكن العيب أن تنسب العلم لنفسك."

" التقليد مقبرة الإبداع فلا تقلد وكن مبدعاً."

المؤلف

كل تشابه في الواقع

مع أسماء الشخصيات

الرواية من وحي خيال

الكاتب

اللكمة

بينما أنا في جدار السجن أرتمي على مضجعي وأكتب هذه الكلمات القليلة في سطور قصيرة أتساءل مع نفسي ما الغاية من سجن إنسان بريء كل الدلائل تشير إلى تجريمي، ولكن أنا في حقيقة الأمر لم أرتكب ما نُسِب إلي.

تعود قصتي إلى أعواما من صدور هذه الرواية التي تُروى على مسامعكم وكُتِبت بأصابع يدي ....كل ما في الأمر أنني تفوهت بالحقيقة التي يخشى الكثير من البوح بها.

كنت أسير في أزقة المدينة وأتمشى كالعادة وأفكر في مستقبلي الذي لم أرى فيه إلا ما يُرى في أفلام الرعب ! شاب تجاوز الثلاثين من عمره لم يجد بعد لقمة تكفيه لسد ريقه ! وإشباع بطنه، فجأة أسمع صراخ عالي أيقظني من نومي بالرغم أنني كنت مستيقظا وأمشي !

خلال لحظات يزداد الصراخ وإذا بي أصل الى مصدر ذلك الصوت الذي أزعجني، رأيت شاباَ يصرخ على فتاة ويضربها وهي تبكي وتترجى المارة على أن تساعدها، وقفت لأرى المنظر المليء بالعنف والأسى والخزي، تمالكت نفسي قليلا ، بدأت أحس بالحرارة ترتفع في جسدي ويدي ترتعش، فجأة أجد نفسي وسط المعركة، نعم إنه ضميري استيقظ لحظة صراخ تلك الفتاة .

***

هذه مجرد البداية...

وأنا واقف بين الجنسيين فإذا تأتي لطمة من يد ذلك الشاب فتخترق وجهي وتصيبني كانت قوية تدل على كمية الحقد، ثم ترنحت قليلا للوراء من شدة الألم ورفعت يدي أتفحص وجهي فإذا بالدماء تلامس يدي، عرفت آنذاك أن أنفي ينزف، وما هي إلا لحظات تعد بالثواني إلا بالشاب يمسك قميصي بإحدى يديه ويرفع اليد الأخرى ليلكمني ثانية وإذا بي أتفاداها ثم تشابكت أصابع يدي اليمنى لكي تصبح متماسكة ومستعدة لما هو قادم، في تلك الوهلة تذكرت كل شيء معاناتي قلة حيلتي مستقبلي البائس ثم أوكزه فإذا به يسقط مغميا عليه ....

في تلك المرحلة البائسة تصل قواة الأمن وتعاين وتشاهد اللحظة حصريا، و تم القبض علي بما يسمى بالجرم المشهود.

وبعدها تم الزج بي رهن الحبس المؤقت بغية التحقيق معي، والغريب في الأمر لم أجد ذلك الشاب الذي تبادلنا معا اللكمات، فتعجبت، وفي هذه الأثناء يأتي أحد الحراس وينادي باسمي من أجل بداية التحقيق مع رجال الأمن.

جلست على ذلك الكرسي وانتاب لحظة جلوسي شعور غريب يبعث على التشاؤم، وبدأ المحقق بالأسئلة: لماذا قمت بالإعتداء على ذلك الشاب ؟، أتدري ما حصل له ؟ لقد قتلته ! وعند سماعي لتلك الكلمة صعقت وزادت ضربات قلبي حتى كدت أجزم أنه سيخرج من صدري، وخارت قواي من هول الصدمة، فحينئذ تيقنت جواب سؤالي.

- أردف المحقق قائلا: يمكن لك أن تستعين بمحامٍ، وما هي إلا دقائق حتى بدأت الحديث من تلقاء نفسي: حسنا سأخبرك بالحقيقة، لقد كنت مارا كعادتي وأتمشى، وما هي إلا لحظات أصادف ذلك المشهد الذي كان بين الشاب والفتاة، وكان ينهال عليها بالضرب ويعنفها، وأنا لم أتحمل ذلك فسارعت لنجدتها، ثم ضربني وكان هو الذي اعتدى علي في بداية الأمر، بعدها أراد للمرة الثانية ولكن كنت له بالمرصاد ودافعت عن نفسي هذه المرة، وكان ذلك لحظة وصولكم للمكان.

بعدها أخرج المحقق دفتر من مكتبه و يلوح بيده لي:

- هذا الدفتر يقول عكس ذلك، فعند حجزك استمعنا لبعض الشهود من الناس الذين عاصروا الحادثة قبل مجيء رجالنا، وصرحوا على : أنك من بدأت النزاع وافتعلته واعتديت على الشاب وخطيبته، فصرخت قائلا:
- كذب هذا كذب وتزيف للحقيقة، اسألوا الفتاة هي تعلم هي تعلم.
- وتابع المحقق: نعم لقد استجوبناها و أفادت بشهادتها وكانت نفس ما قاله الشهود ، هنا صمت وعرفت أن في الموضوع لبس، وطلبت له الاستعانة بمحامي، وبصمت ووقعت على ذلك المحضر.

ثم طلبت منهم إجراء مكالمة لأهلي فوافقوا عليها اتصلت بأمي وأخبرتها بما حدث فانهارت بالبكاء وهذا ما زاد في حزني، قبل ذلك ترددت في هذا الاتصال لأنني أعرف ما الذي سيحصل لأمي، ذلك كله لكي لا تقلق علي وأطمئنها عن نفسي، لذا اتصلت بها، أخبرتها أني بحاجة ماسة إلى الخال لكي يوكل لي محاميا فأنا ليس لدي القدر الكافي من المال ما يكفيني لمثل هكذا قضايا.

بعدها أتى خالي وحدثته بكل ما جرى، فطمأنني لا تيأس ما دمت بريئا، سأحاول أن أجد أفضل المحامين في البلاد.

حضر المحامي ونظر في ملف الدعوى التي حُركت ضدي واتُهمت فيها ظلما (إعتقادا مني)، صارحني المحامي أن الموضوع صعب وأن كل الدلائل تشير إلى أني مذنب خصوصا شهادة الشهود وخاصة الفتاة التي أدخلت في القضية على أنها ضحية وشهاد في نفس الوقت، قال لي وكيلي:

- لسوء حظك أن رجال الأمن عاصروا لحظة إرتكابك للفعل ولم يعاينوا ما كان من قبل، إضافة إلى أن الحاضرين شهِدوا ضدك وكذلك الفتاة، هنا تذكرت أمرا مهما وسألت المحامي عن الشاب، نظر إلي بحسرة.
- "هو من عائلة غنية و أبوه ذو جاه ومال."

زال اللبس وعلمت أن الأمر مدبر، وأخبرت المحامي بذلك و رد علي بالجملة الواحدة:

- "مهما أردنا تبيان الحقيقة وبنينا إدعائنا على أنك كنت تدافع عن نفسك ويعتبر قتل غير عمدي، فإن المال والسلطة فوق كل إعتبار".

رغم كل هذا كنت متمسكا ببعض الأمل في المحاكمة، وفي يوم المحاكمة سألني القاضي:

- ما الدافع وراء إرتكابك هذا الفعل الشنيع ؟ إن سجلك الإجرامي نظيف ؟ لما قتلته ؟

- يا حضرة القاضي أنا لم أنوي قتله كل ما في الأمر "قادني حبي للدفاع عن الضعفاء وتكالب علي الأعداء."

فلو كنت أعرف أن هذا المأل سيؤول إلى ما آل اليه لما حشرت نفسي فيه.

- ثم تابع: يا إبني كل الدلائل ضدك تقول عكس ما أنت تدعيه، تنهدت قليلا وما كان مني أن أبوح: " هذه مجرد دنيا نحيا ونموت فيها وإلى الله المعاد الله مع المظلوم، والظالم له عند الله يوم."

فتعالت الأصوات من أهالي الشاب "قاتل" " كاذب" نطالب بالإعدام لحق ابننا، بعدها استُأنِفت الجلسة وحانت لحظة الحقيقة وعم الصمت الرهيب في المحكمة، كنت أتابع *القاضي بكل تدقيق ارتدى نظارته ورفع يديه ووضع الورقة من أجل أن يتلو الحكم على مسامعنا فكان: بعد المداولة والاجتماع تبين "أن المتهم فلان ابن فلان مدانا بالفعل المنسوب إليه ويحق عليه العقاب لذا تقرر له السجن 20 سنة نافذا طبقا للقانون وبهذا يحول الجاني إلى مؤسسة إعادة التربية من تاريخ النطق بالحكم."

نعم هكذا انتهت حريتي التي سُجِنت دون ذنب بمجرد موقف واحد انتهى كُل شيء، صحيح لم تكن حياتي مثالية وناجحة كبقية الرجال ولكن على الأقل كنت طليقا وسيد قرارات نفسي، أما بعد الحادثة أصبحت أنا وطائر القفص سواء.

***

السجن

أول يوم لي في الزنزانة أحسست كأنها سنة لن تنتهي بسهولة بالأخص عندما تسجن وأنت في قرار نفسك تبحث عن الفضيلة ! التي اندثرت منذ زمن طويل.

وتهاطلت علي هواجس الانتقام بسبب الظلم، كنت أريد أن أقابل المرأة التي كانت منذ أيام تستصرخ لنجدتها، ولما حصلت على ما أرادت تخلصت مني و اتهمتني زور وبهتان، إلا أن هناك صوتا خفيا ينادي من داخلي ويقول لا تظلمها ربما هي أيضا بريئة مثلك لكن تم تهديدها أو إغراؤها...

مها كانت البواعث والأسباب إلا أن النتيجة كانت دائما واحدة وهي سلب حريتي.

بدأت أفكر في أمي المسكينة وكيف ستقضي باقي أيامها دوني، كيف لا وأنا البكر في أبنائها، كنا عائلة نتكون من ثلاثة أبناء أنا وأخي وأختي.

أبي غادر الحياة عندما كان عمري 15 سنة، فكان علي أن أعيل إخوتي وأن أكون قدر المسؤولية فحاولت أن أوفق بين دراستي وعملي، كنت أعمل مع خالي الذي يمتلك متجرا صغيرا يجني منه قوته وقوت عائلته.

فنشئت في كنف العمل والتجارة منذ صغري، وألحت أمي على دراستي فما كان لي إلا أن أطاوعها وأدرس ومرت الأيام ودرست وتخرجت وبحثت عن العمل كبقية الشباب ولكن لسوء الحظ لم أجد العمل المناسب والوظيفة الملائمة، فكنت أتنقل من دكان إلى دكان ومن ورشة إلى ورشة وذلك كله لكي أعيل نفسي وعائلتي.

وهكذا إلى أن حدث ما حدث من أحداث ودخولي السجن، فلم تغب عائلتي عن ذهني، وسلبت تفكيري أكثر من حريتي، وفي أحد الأيام أتى أخي الأصغر وطمأنني على أمي وأختي وأنه وجد عملا يعيل به العائلة عني، وأخبرني أن لا أحزن وأن أصبر على محنتي، في الحقيقة عند سماع كلام أخي ارتحت وحمدت الله على ذلك و دعيت الله له التوفيق، ثم سألته عن أمي.

- لِمَ لم تأتِ معك؟، فأخبرني: إنها مشغولة لتحضير زفاف أختي، وعند سماع ذلك فرحت وحزنت في نفس الوقت فانتبه أخي لذلك وحدثني قائلا: لا تيأس ولا تبتئس كل شيء على مايرام.

توالت الأيام والزيارات بين الحين والآخر من أهلي، كما أصبحت الزنزانة هي غرفتي وحياتي الجديدة التي دخلتها شاب في منتصف العمر وسأخرج منها هرِما في أواخر العمر، وهنا بدأت أفكر في حل آخر بديل ربما يقلص من مدة سجني، وبعد مرور ثلاث سنوات راودتني فكرة مضمونها أن أحتال عليهم كما احتالوا علي وهي "أن ادعي الجنون، ولكن هذا ليس بالأمر الهين أمام دكاترة وخبراء كرسوا حياتهم في الدراسة و يعرفون حق المعرفة ويفرقون بين الإنسان العاقل و الإنسان المجنون."

***

التخطيط

ومنذ ذلك بدأت أكرس مجهوداتي، وهنا يبتسم لي الحظ أول مرة في حياتي وذلك من خلال فجوة تعتري مادة في التشريع الجنائي الجديد يسمح للمساجين الذين طرأ عليهم مرض يصيب عقولهم أن يحولوا إلى المصحة العقلية تحت إشراف دكاترة مختصين، كما يمكن لذويهم بعد تصريح من الطبيب والقاضي أن يُفرج عنهم ويكفلهم أحد أقاربهم بعد ثبوت العجز الكلي للمسجون.

ومن هذا المنطلق شرعت في مغامرتي المحفوفة بالمخاطر ووضعت هدفي نصب عيني وأن لا سبيل للرجوع للوراء وكانت خطتي أن أجعل كل من يراني يقطع يقينا على أني مجنون !

ولكن ما الخطة ؟ وكيف يا ترى تنجح خطتي، وذات يوم بينما أنا مستلقي في الزنزانة راودني فكرة جهنمية تتمثل في "رؤيتي لشخص يحثني على فعل أشياء ويلازمني ولا يفترق عني إلا بعد ارتكاب ما أمرني به"، كما كنت أريد أن أسمي هذه الشخصية الخيالية لكي يستوي الأمر.

فأعجبت بالفكرة ولم يتبقى لي إلا تسميتها، وهنا تذكرت كلمة "ساتان" باليابانية والتي تعني شيطان والى هنا تكتمل الصورة ولا يبقى منها إلا التنفيذ.

أول مرحلة كانت إستغلال فترة خُروجي من الزنزانة والإختلاط بالمساجين الباقين، وفعليا هذا ماكان وتعرفت على بعض المساجين مثل:

"كريم" و "أمين" و"سليم" و"الحسين"، كانوا رفقائي في السجن وتختلف محكوميتهم بين المؤبد إلى السجن المؤقت لمدة طويلة نوعا ما.

- كريم كان صديقي المقرب وأردت مشاركته الفكرة، في بداية الأمر ترددت ولكن بحكم الثلاث سنوات التي قضيناها معا توصلت إلى: استحالة خذلاني وهذا ما كان حقيقة، و في يوم الراحة وكالعادة رآني كريم شارد الذهن وأقبل علي ناداني باسمي ما بك ؟ ما الذي يشغل بالك يا صديقي ؟
- بصراحة يا كريم هناك فكرة منذ أيام شغلت بالي وأريد أن أبوح لك بها.
- ما هي ؟
- كل ما في الأمر أرتب للخروج من السجن قبل انقضاء المدة القانونية.
- وكيف السبيل إلى ذلك؟ السجن مليء بالحراس والبنادق موجهة إلينا !، {يضحك} أتريد أن تحفر وتهرب؟
- لا يا كريم تلك خطة بدائية وأنا لا أريد الهروب، في الحقيقة هناك "حفرة" أستطيع أن أهرب منها ولكن مجازيا لا حقيقة.

ثم تعجب كريم وهذا ما كان على محياه، ملامحه تدل على التعجب.

- حقيقة أنتم المثقفين والدارسون لا أفهمكم أبدا

ابتسمت قليلا وتابعت كلامي:

كل ما في الأمر يا صديقي أريد أن أدعي الجنون لكي أخرج بطريقة قانونية وأصبح حرا من جديد.

- كيف ذلك؟
- لا تستعجل يا كريم كل شيء محسوب بدقة ولم يتبق لي إلا تطبيقه، إبتكرت شخصية وهمية تساعدني على ذلك.

في هذه اللحظات كريم لم يستوعب الأمر بعد، ومع مرور الوقت بدأت أشرح له نظريتي وخطتي إلى أن استوى الأمر ورحب كريم بالفكرة وأعجب بها.

- ولكن يا صديقي ما رأيك أن تبدأ على أنك "تسمع صوتا يحدثك ولا تراه، قبل أن تدعي أنك تراه".

هنا إبتسمت ورحبت بالفكرة فكانت مقبولة، وهكذا بدأت مغامرتي بمساعدة صديقي كريم الذي له الفضل الكبير علي.

وكنا نجلس لوحدنا بعد ذهاب أصدقائي الباقين "حسين" و "سليم" و"أمين"، لأني ببساطة لم أفكر في مشاركة فكرتي إلا لشخص واحد وكانت حواراتي مع الباقين عادية وعملنا أنا وكريم أن لا نحسسهم بوجود شيء، لأنه إذا إكتُشف أمرنا سيذهب ما بنيته في لحظة ويتحطم معه أملي.

وفي يوم من أيام الأسبوع وفي فصل الشتاء كان يوما ممطرا وكانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحا كنا في باحة السجن، الأمطار تتهاطل بغزارة كنت واقفا مع أصدقائي و بقية المساجين محتمين بأسقف البناية، وفي لحظة معينة أخرج وأمشي ببطء تحت قطرات الماء المتساقطة من السماء، وخلال هذه اللحظة الكل ينظر إلي، ثم بدأت ألتف من حولي يمينا وشمالا وأحرك شفتاي وأتمتم ببعض الكلمات

الغير مفهومة، هنا السجناء لم يفهموا شيء وبدأت الأسئلة فيما بينهم.

- ما به ؟ هل هو مجنون؟ ماذا يفعل في هذا الجو البارد والأمطار تتساقط بغزارة؟

ثم أسمع صوت صديقي حسين ينادي باسمي:

- مابك ؟ مابك؟ ما الذي تفعله ؟

وينادي بإسمي وأنا أتعمد عدم الإجابة ثم تابع سليم وأمين، إلى أن استدرت لهم ورجعت لمكاني و الحيرة و التعجب بادية عليهم.

- ماذا أردت أن تفعل؟

و لم أجب على أي شخص ثم ذهبت مباشرة إلى زنزانتي وخلال لحظة مروري لاحظت أن البعض ينظر إلي ويضحك ويطلق عليه كلمات مثل: تافه، مجنون، مريض .. إلخ..، في حقيقة الأمر أسعدني سماع ذلك وهذا إن دل فإنه يدل على نجاح خطتي.

- وفي اليوم الموالي ناداني حسين:
- طمئِني هل أنت بخير؟ قلقت عليك البارحة.
- نظرت إليه باستغراب: ما الذي تعنيه بكلامك يا حسين كل شيء على ما يرام الحمد الله، ربما تقصد بكلامك شخص آخر.
- عجبا البارحة كنا معا فجأة رأيناك تغادر المكان وتذهب إلى ساحة السجن حينما كانت الأمطار تتساقط بكثرة، لهذا سألتك عن حالتك اليوم.
- أنا ؟ لا لا يا صديقي أنت تهذي لم أبرح مكاني البارحة.

فجأة يمر علينا أمين وسليم ثم نادى عليهما حسين، ولما وصلا إلينا سألهما عن ما حدث في اليوم السابق فردا عليه ووافقا على كلامه، ونفيت كلامهم وأكملت طريقي، وهذا ما خططت له.

بعد أسبوع من الحادثة أخبرني كريم أن كل من "حسين" و "أمين" و "سليم" أرادوا أن يتقصوا منه حقيقة ما حدث لي كونه أقرب شخص إلي، فما كان من كريم إلا نشر بينهم إشاعة إني بدأت أنهار نفسيا ولا أعي ما أفعل، واستمر كريم لقد سمعت فرضية يمكن للشخص المسجون من كثرة الإكتائب والتفكير أن ينتج عنه خلل في العقل ربما هذا ما بدا لنا جليا ذلك اليوم، وهنا بدءوا يتقبلوا الفكرة نوعا ما و اتفقوا على مراقبة تصرفاتي، ومن تلك اللحظة خططنا أنا وكريم لجعل الأمر يبدو كما رُوِج له.

هذه المرة كنت في ورشة النجارة التابعة للسجن كانت تحتوي على عشرة سجناء وكان من ضمنهم "أمين" و"سليم"، وبينما الجميع منهمك بالعمل أخذت "المبرد" وهي {أداة تستعمل لنخر الخشب} وبدأت أنخر به أحد الألواح الخشبية الكبيرة وأكرر الفعل، ثم بدأت أرفع يدي للأعلى ثم للأسفل لكي تصدر صوت يلفت الانتباه وهذا ما كان، توقف الجميع ينظر إلي باستغراب نادى أحد السجناء على المسؤول فأتى مسرعا فشاهد ما كنت أحدثه من حركات حاول منعي ولم يستطع (تعجب)، كنت أحاول أن أجعل الحدث حقيقيا كأنني "مغيب عن عقلي"، ثم تسارعت الوتيرة وغضب الحارس ومسكني من قميصي ثم نظرت إليه نظرة خاطفة رفعت يدي اليمنى التي كانت تحمل المبرد وطقطقت بأسناني وصدر صوت منها، هنا تراجع الحارس للخلف و فزِع وحمل الصافرة وأطلق الإنذار فأسرع إليه أربعة حراس فحاولوا تقيدي، فكنت أجاريهم وأصدهم عني ثم لم يجدوا سبيلا الا بضربي فانهالوا علي ضربا بالعصا حتى فقدت وعي حقيقة!، وكان كل هذا تحت أنظار المساجين وخاصة صديقي "أمين" و"سليم".

***

المستشفى

بدأت أفيق تدريجيا والألم يسيطر علي لم أستطع تحريك جسدي وأنا في هذا الوضع حتى أقبلت إلي ممرضة بلباسها الأزرق الأنيق وجسمها الرقيق و ملامحها الجميلة الجذابة، حاولت أن تهدئني أخبرتها:

- أين أنا ؟
- لا تتحرك أنت في المستشفى.
- تعجبت المستشفى؟ وما الذي أتى بي إلى هنا ؟، كلما أتذكر أنني كنت أعمل في الورشة.
- أتوا بك الحراس سمعت من الطبيب أنك تشاجرت مع المساجين الذين كانوا معك في الورشة وحاولت أن تقلع عين أحدهم بأداة تستعمل في النجارة.
- أنا ؟ أكل هذا يخرج مني! لا ليس صحيحا هذا تلفيق واضح.
- على كل لا تحاول أن تتحرك فجراحك لا زالت جديدة وتستحق بعض الراحة، أنا مهمتي تقتصر فقط على تقديم المساعدة في مجال الطب، والإعتناء بالمرضى.

ثم نظرتُ إليها بينما كانت تُضَمِد جُروحِي وتجدد لي الضمادات كنت أخطف بعض النظرات إليها لتنسيني أوجاعي، ثم أخبرتها لا شعوريا على أنها جميلة.

- أعلم فلستَ أنت أول سجين يتغزل بي، يكفيك محاولتك الاعتداء على سجين والآن تتحرش بي
- لا ماعاذ الله لم أقصد شيء كل ما في الأمر أن هذه الكلمات خرجت من تلقاء نفسي،

ثم ابتسمت وغادرت.

في هذه الأثناء تيقنت خطورة موقفي الذي أنا فيه، كنت مكبلا بالأصفاد ومُرمى على أطراف غرفة من غرف المستشفى وحيدا، وعند الباب حارس من الأمن يحرسني، هنا عزمت أكثر ولابد لي من إكمال ما بدأت فيه وهذا ما كان، تذكرت قول الممرضة، ما جعلتني أتيقن أن مأمور السجن وراء هذه الفكرة الخبيثة وذلك كله من أجل التستر على الحراس لكي لا يحاسبوا ويعاقبوا على فعلتهم، لذا لابد لي أن أعمل له ألف حساب فقد يكتشف أمري وهذا ما لا أريده.

وذلك ما زاد من عزمي للخروج من هذا الجحيم الذي أنا فيه، ولابد من التضحية، كما تبادرت إلى ذهني فكرة قرأتها ذات يوم مفادها: "أن أتحاشى ضرارا كبيرا بضرر أخف منه"، فكان هذه هو شعاري الجديد.

كانت مدة مزاولتي للمستشفى ثلاثة أيام لا غير، أراد الطبيب تمديد المدة إلى خمسة أيام لكن المأمور رفض ذلك بحجة خطورتي وأن الأمر لا يستدعي كل تلك المدة بحيث لم أُطّعَن أو أُصِبتُ بضربة قاتلة تقعدني كل هذه المدة، فما كان إلا على الطبيب الرضوخ للأمر.

وخلال تلك المدة كنت أحاول أن أتعرف أكثر على الممرضة و أحاكيها، ولكن دون أن أترك إنطباع سيء عني، في الحقيقة كانت تلك الممرضة محترفة و لبقة في التحدث معي ومتقنة لعملها، كانت في كل مرة تحاول أن تواسيني وتنصحني بالإبتعاد عن المشاكل، فما كان لي إلا أن أسايرها، أحيانا أردت أن أبوح لها بسري ومعاناتي، ولكن تارة أخرى أجاري عواطفي، وأستخدم عقلي فهنا لا مجال للخطأ مهما كان صغيرا.

- وفي يوم مغادرتي وقبل أن أغادر المستشفى سألت الممرضة عن اسمها، فابتسمت كالعادة
- و أجابت بكل إعتدال: إسمي "سلوى".

فما كان لي إلا أن أشكرها على حسن معاملتي وتفانيها في عملها معي، وبالرغم من ذلك كانت دائما لبقة في إجاباتها.

- لا شكر على واجب هذا عملي.

وخرجت من باب الغرفة أمشي بحذر وببطء والأصفاد تكبل يدي، عن يمني حارس وعن شمالي حارس ومن أمامي سيارة الشرطة تنتظرني ومن الخلف سلوى تنظر إلي، في الحقيقة لم أحبذ أن أحرك رأسي للخف وأراها لكي لا تشفق علي هذا ما كنت أشعر به آنذاك.

وصلت للسيارة وركبت فيها، ثم انطلق السائق مسرعا كأنه في مظمار سباق إلى أن وصلت إلى السجن ودخلت، ولحظة دخولي، تم إيداعي إلى غرفة المأمور للتحقيق معي عما ما بدر مني تلك المرة، فشرع المأمور بالأسئلة:

- لما حاولت أن تعتدي على الحارس ؟

أتدري أنك بهذا ستحال على الزنزانة المنفردة لمدة 10 أيام، من حسن حظك لم يصبه أي مكروه وبالتالي كان من المفترض أن يطبق عليك إجراء آخر ضدك، ما بك تكلم أ أكل القط لسانك ؟

- في الحقيقة يا سيدي أنا لحد الآن لم أستوعب ما تقول ولا أتذكر أي شيء مما اتهمتني فيه، كلما أتذكر هو وجودي في الورشة ثم استيقظت ووجدت نفسي في أحد أسرات المستشفى، هذا كل ما في الأمر.
- أتظنني أحمقا أم غبيا لأصدقك.
- لا لم أقصد هذا يا سيدي ولكن أنا أقول لك الحقيقة، آه! تذكرت لقد حدث لي كذلك من قبل إن لم تصدقني أسأل أصدقائي ستعرف أنني أقول الحقيقة.

وما إن أكملت كلامي حتى أقبل عليه مساعده واقترب من أذنه وهمس له بكلمات لم أسمعها، بعدها مباشرة أمرني المأمور بالانصراف وكان آخر كلامه:

- "حسنا سنرى ذلك"، هنا أدركت أن الحارس قد أخبره ما رأى مني ذاك اليوم.

بعدها عدت إلى زنزانتي

و ما هي إلا بضع ساعات حتى نادى علي، حارس يطلب مني أن أرافقه فكان له ذلك، فقادني الى غرفة صحية داخل السجن فعرفت أنها غرفة لمعالجة المسجونين وكان فيها دكتور مختص بالأمراض العقلية، هنا استوعبت الأمر وما كان لي إلا أن أحترف في الباقي.

- نادى علي الدكتور: يا ولدي تفضل واجلس أمامي.

فجلست ثم نظرت فيه كان رجل فارع الطول يتجاوز الخمسين من عمره على حسب تقديري الشيب يمليء شعره.

- تعاني من أي مرض؟

كان جوابي:

- لا الحمد الله
- ترى كوابيس في أحلامك هذه الأيام؟
- نعم أحيانا

مانوع هذه الكوابيس ؟

- في الحقيقة يا دكتور أرى في أحلامي كأن وحوش تريد أن تتخلص مني
- حسنا، عانيت من صدمة في صغرك؟
- لا أتذكر.
- حسنا يمكنك الذهاب وستأتي إليِ في جلسات أخرى سأحددها لك وأياك أن تتخلف عنها.
- شكرا لك مع السلامة سأكون عند حسن ظنك.

ثم غادرت المكان وعُدت مجددا للزنزانة، وفي اليوم الموالي زيارة عائلتي والذي يصادف يوم الثلاثاء حيث كانت الزيارات تسمح فقط يوم في الأسبوع ولمدة لا تتجاوز الربع ساعة، وهو وقت ضيق لنا كمساجين، وهنا حاولت أن أستفيد من هذه الزيارة لصالحي لأنني على معرفة بدواليب السجن وإجراءاته إذ أن كل شيء مراقب، لذا اجتهدت لكي أتحصل على معلومات من أمي تفيدني مع الدكتور دون أن يشك أحد.

وفي تلك الأثناء ناداني حارس السجن، لك زيارة ففرحت بذلك، وبينما أمشي في الرواق ألاحظ من بعيد شابا جالسا وحيدا، نظرت من حولي لأرى مكان آخر ربما تنتظرني فيه أمي مع أخي، وفي الحقيقة لم أجد ذلك كانت الغرفة ممتلئة بالمساجين وأهاليهم.

ثم لوح لي ذلك الشاب وأنا أدنو رويداً رويداً حتى اقتربت منه فعرفت آنذاك إنه أخي عَمّار ، وبمجرد جلوسي رفعت سماعة الهاتف وبدأت حديثي مباشرة دون مقدمات، حتى أنني لم أسئله عن نفسه

- أين هي "أمي؟" لِمَ لم تأت معك ؟، أحصل لها شيئا؟
- لا اطمئِن هي بخير، ولكن أختنا رُزقت بمولود، أنت تعرف واجبات الأم.

- آه طمأنتني حسِبتُ أنه قد جرى لها شيء لا قدر الله.
- لا لا لم يحدث شيء.
- أه مبارك لأختنا وحفظ الله المولود كان ذكر أو أنثى.
- رُزِقت ببنت وسمتها سلوى.
- سلوى !، أنا في نفسي [يا إلهي ماهذه المصادفة]
- ما بك لما شَرِدت ألم يعجبك الاسم؟
- لا لا ليس الأمر كذلك لا يوجد شيء أخي اطمئِن، حفظها الله ورعاها، سامحني "عمار" لم أسألك عن حالك وعن حال "أختي"، "أمي" أخذت بالي أنت تعرف مدى حبي لها.
- وكان أخي (يبتسم): لا عليك أنا بخير و"أختي" بلغتني إليك السلام وتشتاق إليك، تعرف زوجها منعها من زيارة السجون متعصب نوعا ما لهذه الفكرة!
- نعم أدري هو السيد ويعود القرار إليه وأنا أتقبل ذلك ولست حزيناً على "أختي" ولكن أوصيك فيها يا عمار فليس لها بعد الله إلا انت، وكانت هذه الكلمات بنبرة حزينة مني كيف لا و أنا ألامس جدران السجون، كان الأولى أن أكون مع "أختي" وعائلتي وكنت أتحاشى أن أظهر لأخي ملامح تدل على ذلك.

- لما تقول هذا يا أخي وأنت السند الأول ليس لها فقط بل لنا جميعا.
- كيف ذلك وأنا في غيابة السجن لا أدري ما يحدث في الخارج.

ومع استمرارنا بالحديث والغوص فيه يأتي دون سابق إنذار الحارس بعصاه ويضرب بها الجدار لينبهني أنه لم يبقى من الوقت إلا دقيقتين، نظرت إليه نظرة توحي بالغضب، وإلتقت عَيّنيّ بعينيه، وفي هذه اللحظة يناديني عمار.

- ما بك دعك منه لدي مدة وأنا أنادي عليك.
- أسف لم أسمعك على كل حال، بلغ سلامي "لأمي وأختي" واعتني بهما قدر المستطاع فهما أمانة في رقَبتِك.
- دون أن تُنبِهني أنا على دراية بذلك، نلتقي الأسبوع القادم مع السلامة أخي وحاول أن لا تقع في المشاكل.

وكانت توقيت الزيارة أنذاك من الساعة التاسعة صباحا إلى غاية الثلاثة زوالا، بعدها يمنع أي زيارة ومهما كانت، إضافة إلى إننا كنا نعمل لمدة خمسة أيام ويومي راحة، كما توجد في السجن عدة ورشات للعمل وأنا كما أسلفت سابقا كنت أعمل في ورشة النجارة، ومن ثما رجعت إلى الورشة بعد زيارة أخي ولما وصلت ودخلت كعادتي وما إن كنت أحضر أدوات النجارة إذ أسرع إلي كل من "أمين وسليم"، سلما علي وشرع سليم بالكلام:

- كيف حالك ؟ هل أنت بخير؟

الحمد الله كما ترى أنا في صحة جيدة

- ثم تابع أمين: قلقنا عليك يا صديقي منذ ذلك اليوم لم نرك في الورشة.
- صحيح لقد حدث ما حدث.

وفي هذه الأثناء أقبل علينا الحارس:

- هيا عودوا إلى عملكم وكفاكم ثرثرة هنا مكان للعمل وليس لتسكع والكلام، ثم رجع كل واحد منا إلى مكان عمله.

وفي نهاية العمل عدت منهمك لزنزانتي قبل موعد العشاء لكي أرتاح قليلا واستلقيت على فراشي، وأنا تعبان ،وأكثر ما أثر علي هو الضرب الذي أخذته سابقا، كنت أريد الإنتقام من أولئك الحراس، ولكن في قرارات نفسي كنت أعلم أن الواقع يمنعني لأن الإعتداء على حارس ما سيكلفك غاليا وقد تتحول مدة محكوميتك إلى الأسوء فصرفت هذه الفكرة من بالي، وحان موعد العشاء فغادرت الزنزانة لكي أتناول وجبة العشاء، والتي كانت عبارة عن حساء وقطعة خبز و حبة فاكهة برتقال في هذا الجو البارد، بعدها جلس إلى جانبي كريم وسألني عن حالي وشعوري حاليا.

فما كان لي إلا أن أطمئنه، ثم لم ينسى أن يسألني عن استمراري في الخطة، خوفا منه في تغير رأيي وهذا ما لم يكن طبعا.

- لابد أن تعجل في الأمر يكفيك ضربا وما عانيته سابقا لابد لنا أن نعمل على حل أمثل يخرجك من هذه الحياة المقرفة، وهنا طرحت عليه سؤال:
- كريم وأنت ؟
- مابي ؟
- أقصد أنت ألا تفكر في الهروب من هذا السجن ؟ الم تراودك الفكرة.
- تنهد آه يا صديقي انت تعلم أن عقوبتي المؤبد.

فهما حاولت الهروب فإن مرجعي إلى هنا، إضافة إلى ذلك أنا أخطأت وأستحق العقاب على فعلتي عكسك أنت الذي سجنت دون وجه حق.

كن أجاريه لأواسيه، ربما يوما ما يصدر قانون ويقلل من مدة عقوبتك لا تدري.

- أتمنى ذلك ولكن في الوقت الراهن أستبعد الأمر.

وكان سبب سجن كريم هو قتل شاب اعتدى على خطيبته، فقتله إنتقام منه، و يعتبر أيضا سجله الإجرامي نظيف مثلي لكن فعلته للأسف لم تكن معاصرة لفعل الإعتداء على خطيبته، لذا تم تكيف القضية على أنها القتل عن سبق الإصرار والترصد لا قتل بدافع الشرف، كما أنها تبقى خطيبته ولم ترتء بعد لأن تكون زوجته، هذه هي قصة كريم.

ومنذ ذلك الحين شرعت في المرحلة الثانية من الخطة وأسرعت من وتيرتي مثلما نصحني كريم، وكانت هذه المرة زيارة أمي نافعة لي وفي يوم زيارتها سألتها :

- أمي هل عانيت في صغري صدمة معينة أو حدث لي شيء معين أخفيتيه عني؟
- تعجبت ما هذا السؤالي يا حبيبي ؟
- لا لا فقط كل ما في الأمر نتناقش أنا وزملائي هنا عن بعض الأمور والمغامرات التي حدثت لنا في الماضي لذا أحببت أن أعرف.
- آه خشيت أن يكون شيء أخر.
- ابتسمتُ لا لا يا أمي.

- حسنا لم يحدث لك شيء معين ولكن أتذكر أنك أحيانا كنت تمشي أثناء نومك
- تعجبت أو حدث هذا يا أمي! الآن تخبرينني؟.
- يا إبني كانت مرة أو مرتين لا أكثر إضافة الى ذلك كنت صغيرا وحاولت أن لا أخيفك، وها أنت علمت الأن.
- أه عفوا يا أمي لم أُقصد، أعلم أنكِ دائما حريصة علينا.

ثم قدمت لي بعض الأكل الذي طبخته بيديها وكان طعامها زكياً كالعادة كيف لا وهو الذي تم إعداده من قبل أمي، وكنت في كل مرة أنبهها أن لا تتعب نفسها بتحضير الطعام يكفيني أن أراها وأحدثها، لكن طبيعة الأم هكذا دون جدوى دائما حنانها يسبق تعبها، ومن محاسن هذا السجن أنهم كانوا لا يمنعوا إدخال الطعام من قبل ذوينا نحن السجناء ولكن بعد أن يفتش طبعا، وكالعادة ودائما أريد أن لا أحسس أهلي عن ما أخطط اليه إلا بعد أن تنتهي الحِبكة وأصل الى ما أصبو اليه، هكذا أريد.

وفي يوم العطلة وبينما أنا في فناء السجن مع المساجين نتناقش كالعادة إلا بي أسمع صوتا ينادني التفت يمينا لم أجد شيء ثم شمالا أيضا لا شيء وكان أصدقائي يلاحظون تحركاتي، ثم أخبرتهم:

- أسمعتهم شخصا ينادي باسمي ؟
- لا لم نسمع ربما تتوهم.
- نعم ربما.

بعدها بلحظات حتى أسمع الصوت يرتفع مرة أخرى وينادي.

- أنا هنا أنظر خلفك.
- نظرت من خلفي فلم أجد شيء.
- ثم صرخت من أنت؟ أظهر نفسك إن كنت رجلا.

هنا وفي هذا الموقف الكل ينظر لي بتعجب ودهشة، ثم توقفوا عن الكلام وكنت أنا شغلهم الآن، بعدها خطوت بضع خطوات لأرى ما يجري، وإذا بي أشعر بأصابع تلامس ظهري وصوت ينادي:

- استدر أنا خلفك.

في تلك اللحظة احسست بقشعريرة، ثم بسرعة خاطفة التفت من حولي لا شيء!، هنا تملكني الرعب حقيقة، بدأ جسمي يرتعش و أصفر وجهي.

ثم أسرع لي كل من سليم وحسين وأمين.

- ما بك ؟ لما أنت هكذا لم وجهك مصفر؟

لم أستطع الإجابة في البداية.

لكن تشجعت وتكلمت:

- سأخبركم قد تعتقدون أنني مجنون ولكن هذه هي الحقيقة بينما أن جالس معكم كنت أسمع صوت يناديني وقد لاحظتم ذلك عندما شاهدتموني أنهض من مكاني ورفعت صوتي ثم ذهبت حينها وما إن توقفت أحسست كأن أصابع شخص تلامس ظهري لكن لا يوجد شخص من حولي وهذا ما أرعبني.

و نظرت اليهم وأرى أن الرعب كذلك تمكن منهم، بعدها ببرهة سمعنا صافرة السجن من أجل أن نعود إلى زنزانتنا، وفي تلك الليلة لم أستطع أن أنام.

كان يشاركني الزنزانة صديقي كريم وقد لاحظ ذلك.

أقبل علي يسألني كعادته.

ما بك.؟ أنت اليوم على غير عادتك هل حدث لك شيء؟

- نعم حدث الكثير، أه تذكرت لم أجدك اليوم في فناء السجن أين أختفيت؟
- رد علي (مبتسما) كنت قريب منك.
- آه قريب مني الى أي مدى؟
- أكثر مما تتصور كنت بجانبك ولم أفارقك.

وللمرة الثانية أشعر بالقشعريرة تتملكني، ثم تقهقه ضاحكا

- ما بك ياصديقي لما خفت إلى هذا الحد كنت مع أحد السجناء أحاول أن أحصل على بعض السجائر إلا أنني أطلت معه الكلام.
- أه حسنا لا عليك.
- لم تخبرني ما الذي حدث؟
- لا عليك غدا سأحدثك بالتفصيل الآن دعنا نخلد للنوم الوقت تأخر تصبح على خير.
- وأنت من أهله.

أتى اليوم الموالي وكان كذلك يوم عطلة الذي صادف يوم السبت، كنت في الزنزانة أفرش أسناني، حتى ينادي علي الحارس ويقرع بعصاه على أعمدة الزنزانة تعال معي الدكتور في إنتظارك، وكانت جلسة أخرى من الجلسات التي برمجت لي كوني قد أعاني من مرض عقلي قد يؤثر علي وعلى باقي المساجين ثم وصلت إلى الدكتور وبدأ كالعادة يطرح في الأسئلة، هذه المرة كانت غريبة نوعا ما وهي على النحو التالي:

- من أنت؟

تعجبت فسايرته وعرَّفت عن نفسي كما أراد

- أين أنت ؟

لم أبالي هذه المرة.

- أنا في السجن.
- ولما أنت هنا؟.
- لأنني قتلت شخصا.
- ومادوافعك؟

ثم تنرفزت وكانت نبرتي حادة

- هل أنا في تحقيق أم ماذا؟ ملفي أمامك مكتوب فيه كل شيء.
- أنا الذي أقرر كل ما عليك الإجابة، هل تراودك أفكار القتل هذه الأيام؟ هل تعاني من شيء غير طبيعي مثلا؟ أ مازالت تراودك تلك الأحلام؟

- حسنا في الحقيقة بالنسبة لفكرة القتل لا تراودوني ولكن أشعر بالحزن جراء ما فعل بي الحراس إضافة عن الأحلام نعم مؤخرا رأيت نفسي محاط ببركة من الدماء وأنا في وسطها، وبالنسبة للشيء الغريب حدث معي أمر محير مؤخرا لم أستطع النوم تلك الليلة.

- ابدأ من حيث انتهيت أشرح لي بالتفصيل.
- كنت في ساحة السجن كالعادة مع بقية السجناء، حتى أسمع صوت ينادي باسمي، وفي الحقيقة سألت أصدقائي ولم يسمعه ولم يراه أحد، ثم خطوت بضع خطوات لأتأكد من الأمر. كنت أقول ربما أحد يريد لفت انتباهي، وفي هذه اللحظات أشعر كأن أصابع تلامسني نظرت من حولي لم أجد أي شخص، هذا كل ما حدث معي بالتفصيل الممل.
- من كان معك تلك اللحظة؟
- كان معي كل من حسين وأمين وسليم.
- تستطيع الإنصراف واذا ناديتك تأتي الي.

ثم انصرفت وما هي الا ساعة من زمان حتى ناد علي مرة أخرى، وقد علمت بعد ذلك أنه استدعى أصدقائي لكي يتقصى منهم الأمر ويقطع الشك باليقين، بعدها أخبرني أنني أعاني من الهذيان وذلك راجع للصدمة التي تلقيتها بصدد سجني هنا وهذا ما أثر علي جليا، فأعطاني بعض الحبوب لكي أتناولها وكان اسمه "بنفلوريدول" يوصف لحالة الأمراض العقلية كحالتي، فأوصاني الطبيب بعدم تجاوز الجرعات المحددة والا كان لها مفعول عكسي.

- وقبل مغادرتي أردت أن أسأل الدكتور، قائلا: تسمح لي بسؤالك يا دكتور؟
- تفضل، دكتور هل أنا مجنون؟
- لا لم تصل بعد لحالة الجنون، فقط أنت تعاني من صدمة جراء دخولك السجن ومع هذا الدواء ستشفى عن قريب.

ثم غادرت وأنا أحمل الدواء وفي طريقي صادفت كريم نظر الى يدي لاحظ أني أحمل شيء.

- ما هذا الذي بيدك؟
- آه هذا دواء أعطاني أياه الطبيب.
- (إبتسم) أرى أنك نجحت في مسعاك كل شيء يسر لصالحك.
- أخفض من صوتك يا كريم سيسمعنا الحراس وتفضح أمري، وفي الجهة المقابلة كان يقف حارس ينظر نحوي باستغراب.
- ثم أخبرت كريم: هذا ما أردت "لقد فُضِح أمري لقد فُضِح أمري" .
- لا تخف لم يسمعني أحد وكانت الثقة بادية عليه، ثم غادر، فسألته الى أين هو ذاهب فأجابني أنه ذاهب للعمل، وفي هذه الأثناء دنى الحارس نحوي وتفوه ببضع الكلمات ثم انصرف وكانت: هل أنت مجنون؟

في الحقيقة تجمد جسدي عندما رأيته قادم نحوي، ثم ذاب ذلك الجليد لما غادر ولم يعتقلني، ولكن ما حيرني هو تلك الجملة وما الذي أراده وراء ذلك، آه تذكرت ربما يقصد حادثة الورشة أو حادثة فناء السجن، "على كل دعني منه لن أهتم لأمره كثيرا"، وذهبت للزنزانة من أجل شرب الدواء، وفي تلك الليلة أخبرت كريم كل ما حصل لي، وكان رده: ربما هي مجرد أوهام أو أن الخطة أثرت علي وكان يبتسم ويضحك مني كثيرا، أزعجني ذلك ورميت عليه الوسادة في تلك اللحظة، نظر الي نظرة لن أنساها أبدا نظرة أفزعتني كأنه شيطان! كانت عيناه مليئة بالشر وتغيرت نبرة صوته كأنها صوت الرعد.

ولا إراديا تحرك جسدي جراء الخوف.

- وتابع لا تعيدها لكي لا تشعر بما أصابك الأن، وأنا مدهوش كيف له أن يحس بما أصابني. ثم أمرني بالنوم فنمت ولم أحدثه بعدها.
- وفي الصباح الباكر عندما استيقظت ذهبت للحمام لقضاء الحاجة، وبعدها استحممت ثم لبست ملابسي المعتادة حتى أقبل علي كريم في هذه الأثناء تحاشيته، ثم (ابتسم).

مابك ؟ لما أنت عابس هكذا ؟

- عابس! نعم لأنني أول مرة أراك فيها على غير حقيقتك البارحة لم تكن على سجيتك.
- البارحة؟ آه نعم تقصد البارحة لم أكن في مزاجي نفذ مني التبغ، فتقلب مزاجي.
- لا عليك، حسنا حصل خير.
- هيا يا صديقي لا تضخم الأمور، حسنا كل شيء على ما يرام أراك لاحقا حان وقت عملي.

***

الجزار

بعدها توجهت صوب الورشة كأي يوم من أيام العمل، وسلمت كالعادة على "سليم وأمين"، وفي هذه الأثناء دخل سجين كنت قد تشاجرت معه قبل ثلاثة أشهر على مشكلة حدثت بيننا في المطعم أراد أن أنظف المكان بعد أن بصق فيه، وكان مقصده تقليل إحترامي، ولكن آنذاك تبادلنا الكلمات فقط لا اللكمات، انتابني شعور بالغدر قد يأتيني منه في أي لحظة، وكانت نظراته متجهة صوبي، وفي هذه الأثناء لاحظت أنه يهمس مع سجِنين آخرين ويتبادل معهما الإشارات، وفي هذا اليوم بالذات كان حارس واحد فقط يقف عند باب الورشة عكس ما كان من قبل، لا أدري ما سبب ذلك!، ولكن لم أكن على دراية بتبعات ذلك علي، وبينما أنا منغمس في عملي حتى أسمع حركات من خلفي، (فجأة) تمت مباغتتي من قبل سجينين أمسكا يدي ثم جاء مسرعاً الي ذلك السجين وبدأ ينهال علي بالضرب، في هذه اللحظة بدأت في الصراخ، لم يتدخل باقي السجناء والحارس كان يمشي في الرواق ويدخن سيجارة وهذا ما استغله السجناء، حاولت أن أهرب منهم دون جدوى، بدأت أحس بالدوار لاحظت أن أنفي ينزف تذكرت نفس الموقف الذي حدث معي سابقا ولكن الوضع الأن يختلف تماما، أنا محاط بأشرس السجناء وهم أكثر عددا.

لحسن حظي وفي هذه الأثناء أتى كل من سليم و حسين كانوا قد أدوا بعض الحمولة إلى الشاحنة التي كانت في تلك الورشة، أسرعوا الي وأنقذوني منهم و في تلك اللحظة أغمي علي مرة أخرى، وبعدها تم نقلي للمستشفى بعد أن عاينوني في عيادة السجن تبين لهم أن أنفي مكسور وهُشِم من شدة الضرب وهذا ما استدعى نقلي لمستشفى تابع للسجن وهو نفس المكان الذي تم معالجتي فيه سابقا، وقاموا الأطباء هناك بإجراء عملية جراحية لي مستعجلة، وتمت بنجاح، ثم بدأت استقيظ من تخذير "البنج" واسترجع وعيي شيء فشيء، بعدها أدركت أنني ملقى في أسرة المستشفى وعدت إليها مرة أخرى.

وكالعادة وضعوا لي حارسا عند مدخل الغرفة، وفي هذه الأثناء يدخل الطبيب ويطمئنني على حالتي وأنهم أجروا لي عملية في أنفي كانت مستعجلة لأن الضرر كان كبيرا وأخبرني أن أرتاح، أردت أن أتكلم معه فلم أستطع كان فكي يؤلمني حتى هو ولم يسلم من الضربات.

- أشار إلى الطبيب بيده وتكلم معي: لا عليك حاول أن لا تحرك فكك، كما ترى لم تطِب بعد، فرفعت يدي بمعنى أنني فهمت، كنت أنظر من حولي ورأيت ملصقا على الجدار فعلمت آنذاك إني في قسم تابع لقسم العظام، وهو مغاير للقسم الذي كنت فيه سابقا، وهنا تذكرت سلوى التي كانت في غاية اللباقة معي، وأردتُ أن تزورني لتخفف عني، كما كنت أنتظر بشغف سماع صوتها.

ولازمت المستشفى مدة عشرة أيام، بعدها تم نقلي للسجن مرة أخرى ولم أرى سلوى حينها، وعند وصولي للسجن أخبرني كل من سليم وأمين أن المساجين تم معاقبتهم بالحبس الإنفرادي وتم تحويل ملفهم للعدالة، وعلى حسب ما علمت تمت مضاعفة محكوميتهم وكذلك تم تحويلهم لجناح آخر غير الذي أنا فيه.

وفي الحقيقة تم التستر على زعيمهما ولم يشمله الأمر وبالتالي نفذ منها، وتم التضحية بمساعديه لأنني صادفته في أحد ممرات السجن بالصدفة و هذا ما أزعجني، دائما الأمور تكون ضدي، بعدها ذهبت للزنزانة لكي أستريح كان يوم عطلة آنذاك، وفي هذه الأثناء يقبل علي كريم.

- اشتقت لك يا صديقي أين كنت؟ (ضاحكا).
- كنت في المستشفى لقد اشتاقت لي هي الأخرى.
- وما الذي حدث لك هذه المرة ؟
- ماذا ؟ الم تسمع ما حدث لي؟ الم تسأل عني رفقائنا؟
- بل أردت ذلك ولكن تم تفريق المساجين ولم أعرف السبب!
- حسنا كل ما في الأمر تم الإعتداء علي للمرة الثانية في نفس المكان، قاطعني كريم.
- أتقصد الورشة؟
- نعم هي بالذات ولكن هذ المرة من قبل أحمد الجزار وآخرين تعرفه اليس كذلك ؟
- بعدها نظرت في كريم فرأيت التوتر ينتشر على وجه وأحمر وجهه غضبا.
- "الجزار" إذا ! يبدو أنه لم يعقل بعد، حسنا سوف ترى ما الذي سيحدث له.
- خاطبته: بنبرة حادة لا يا كريم لا أريد أكثر من ذلك لقد تعبت من هذه الأوجاع لا تدخل فيما لا يعنيك، بعدها حدق نحوي لوهلة ثم غادر الزنزانة مسرعا، كانت الساعة تشير الى الثامنة والنصف ليلا، ولم يتبقى لوجبات العشاء الا القليل.

ثم جلست استريح قليلا، حتى غفوت و لم استيقظ الا على ضربات الحارس بالعصا على القضبان وصوته يناديني: "انهض وقت العشاء"، ثم قمت من مكاني وغسلت يدي ووجهي بعدها توجهت للمطعم كالعادة جلست في نفس المكان وكنت انتظر قدوم كريم لكن لم يأتي، ثم نظرت من حولي رأيت معظم المساجين الذين في نفس قسمي ولم أجده وما لفت انتباهي لم أرى كذلك "أحمد الجزار" الذي كان من المفروض أن يكون في نفس المطعم، ثم تناولت الوجبة وانصرفت.

وفي هذه الأثناء أسمع صوت صافرات الإنذار، وألاحظ الحراس مستنفرين ويحملون الأسلحة، آنذاك تيقنت أن حدثا سيء قد وقع، بعدها أتى حراس آخرين وادخلونا الزنزانة واغلقوا علينا، كانت زنزاني هي آخر زنزانة في الممر والذي كان يشبه شكل الحرف (T) بالأجنبية، حاولت أن أعرف ما الذي يحدث لم تكن هناك زنزانة تقابلني مباشرة كل ما يقابلني هو الجدار، ولكن عن شمال زنزانتي توجد زنزانة قريبة نوعا ما حاولت أن أعرف من ذلك السجين.

- كلمته ما الذي يحدث ؟ لما كل هذا؟، و في الحقيقة ذلك السجين كان يتحاشاني منذ دخولي السجن لذا لا أعرفه ولا أخالطه، ولكن في تلك اللحظة أردت أن أعرف ما الذي حدث، وما أرّقني هو غياب كريم عن الزنزانة، بعدها رد علي السجين.
- "سمعت من الحارس يقول لحارس آخر لقد قتلوه قتلوه من؟ لا أدري!".
- آه شكرا لك يبدو أن الوضع خطير.

- ثم رجعت للخلف فجأة أجد كريم أمامي، في تلك الوهلة صرخت بقوة وفزعت: ياإلهي يا إلهي هذا انت ؟ لقد افزعتني لم الاحظك عند دخولي كأنك "جني".
- ثم أسرع إلي الحارس من وراء القضبان: " مابك ما الذي جرى أهناك شيء؟
- لا لا شيء سيدي، ثم انصرف.
- بعدها سمعت الرجل في الزنزانة التي حدثني منها يقول بأعلى صوته : "مجنون مجنون"، لا أدري مع من كان آنذاك لم أعطي للأمر أهمية، كان بالي مشغول بكريم، الذي أفزعني.
- سألته بعدها وأجابني بـ: "كنت في الحمام"، وأنا لم ألاحظه، ثم سألته ثانية يا ترى من قُتِل ؟ رد ضاحكا: " "أحمد الجزار" وأنا الذي قتلته"، قتلته انتقامنا لأجلك يا صديقي، قتلته بأداة تستعملها يدك كثيرا في ورشة النجارة.
- هنا لم أصدق ما سمعت أذناي ولم يستوعب عقلي بعد من شدة الصدمة، بعدها أخذت نفسا عميق ثم خاطبه: أفعلت كل هذا يا كريم؟ ألم أخبرك أن لا تتدخل في مشاكلي؟.
- مشاكلك؟
- بعد كل الذي فعلته من أجلك "الجزار" يستحق الموت أنا أعرفه أكثر منك لقد عانى الكثير منه في الماضي.

وبينما نحن نتحدث ثم أسمع صوت مفاتيح الزنزانة علمت أن الحراس أتوا، فتحوا زنزانتي كانوا حارسين، من بينهم حارس أراه أول مرة، وكان حارس جديد وظُف مؤخرا وكل هذا عندما كنت في المستشفى لذا لم أتعرف عليه، بعدها قادوني إلى غرفة المأمور ، وعند وصولي للمأمور كان ينظر لي بنظرات غاضبة وكان في شدة التوتر، سألني المأمور.

- أتعرف هذا الشخص الذي قتل اليوم يكنى بالجزار؟
- آه لا آ أقصد نعم.
- لما توترت أجب مباشرة.
- لا لم أتوتر كل ما في الأمر أنني لا أعرفه معرفة شخصية ولكن هو الذي كان سبباً بما حصل لي مؤخرا.
- أعلم ذلك.

- ثم واصل الأسئلة أين كنت بين الساعة الثامنة والثامنة والنصف؟
- يا سيدي: هذا الأمر لا يخفى عليكم كنت في الزنزانة نائما كما تعلم هو يوم عطلة، أسأل الحارس الذي يتحقق من المساجين.

- كل الأدلة تدل على أنك القاتل وجدنا الأداة التي تستعملها في النجارة وعند تفتيش أدواتك لم نجده.
- ماذا؟ ربما أخذه أحد، أنت تعلم يا سيدي نحن في السجن ربما أحد المساجين أخذه كررتها مرتين، إضافة إلى ذلك هذا هو اليوم الأول في السجن بعد الأحداث وأنا لم أعمل في تلك الورشة بعد الحادثة.

- آهاه وهذا ما يجعلنا نعتقد أنك الفاعل فلِما لم يُقتل قبل رجوعك؟ لِما اليوم بالذات؟
- لا أدري يا سيدي.
- حسنا سنرى نتائج تحاليل المختبر ونرى البصمات لمن ترجع، تستطيع الإنصراف الأن، وسوف نحقق معك ثانية.
- بعدها غادرت المكان ولم أكن أنا الوحيد الذي حُقِق معه فكل المساجين حقق معهم حتى القسم الذي يتواجد فيه "أمين وحسين" أي المساجين الذين يعملون في الورشة كان التحقيق يشملهم، لأن أداة الجريمة وجدت هناك.

***

إسمي زيد!

وفي اليوم الموالي كنت جالسا في أحد المقاعد الواقعة في الفناء انتظر قدوم أصدقائي، فجأة يسلم علي ذلك الحارس الذي اقتادني للمأمور نظرت عليه باستغراب.

- الحارس: تعال معي الدكتور في انتظارك الدكتور!، ولكن هذا وقت راحتي.
- تعال لا تكثر الكلام . (نبرة حادة)
- ثم نهضت من مكاني و ذهبت معه وبينما نحن نسير إلى الدكتور
- سألني الحارس: سمعت أنك صاحب سوابق في هذه السجن وكثيرا ما تتلقى الضربات جراء ذلك ومؤخرا اِتُهِمتَ بجريمة قتل! ألا يكفيك أن قتلت نفساً واحدة من قبل؟، لقد سألت عنك الحراس كلهم اجمعوا على أن ملفك نظيف قبل أن تدخل السجن، أتريد الإنتقام؟
- وما كاني ردي إلا: والله أنا مظلوم في كل شيء مما يقال علي ولم أزد علي ذلك.

- حسنا سنرى ذلك عن قريب بالمناسبة ما اسمك؟
- اسمي؟ أنا؟ (متعجبا).
- لما كل هذا التعجب (يبتسم).
- لا كل ما في الأمر هذه أول مرة في السجن أحس أن حارس يهتم لأمري.
- (يضحك) هذا كله لأنني سألتك عن اسمك؟
- طبعا فالحراس ينادونا على حسب أرقامنا قليل جدا ما ينادى بأسمائنا.
- أعلم ذلك وأنا لا أختلف معهم هو اجراء من إجراءات وأعراف السجن.
- حسنا اسمي: "زيد"
- الإسم الكامل؟
- لك ذلك هو: "زيد زيدان"
- الحارس" آه !
- كنا قد وصلنا لمكتب الدكتور، بعدها لم يعقب وتركني وغادر، أشرف علي الطبيب وكالعادة يسألني، هذه المرة كان محور الأسئلة يدور في فلك الجريمة التي حدثت.
- كيف حالك يا إبني علمت أنك أُصبت.
- صحيح حدث بعض المناوشات بيني وبين مجموعة من السجناء نتيجة لذلك أصبت وتم أخذي للمستشفى.
- يا إبني زيد كم من مرة نبهتك أن تبتعد عن المشاكل فهي ليست في صالحك.
- يا دكتور أنا عن غنى عنها ولكن هي التي تلاحقني بالله عليك ماذا أفعل؟
- حاول أن تتواصل معي أو تتواصل مع الحراس إذا أحسست بشيء حولك.

- حسنا سأفعل ذلك.
- أخبرني يا ولدي كيف أحاسيسك ضد المسمى: "الجزار" هل أنت حزين عليه أم ينتابك شعور بالطمأنينة.
- لا هذا ولا ذاك .
- يعني لا دخل لك بذلك .
- أتقصد أنني قتلته، أعلم أن المأمور أراد منك أن تقيس نبضي .
- أنا هنا لأساعدك يا ابني إن كان هناك شيء أخبرني، لا تخف أعدك سأكون معك مهما حدث.
- لست أنا الفاعل
- بالمناسبة هل تناولت دوائك الذي أعطيتك إياه؟
- نعم كنت أتناوله قبل الحادثة، أما بعد الحادثة لم أتناوله.
- حسنا، هل تأتيك تلك الأصوات مؤخرا؟.
- لا منذ أن غادرت السجن لم اسمعها.
- (قاطع) الدكتور زيد: يعني أنك في المستشفى لا تسمع شيء أو تحس بشيء؟
- لا بتاتاً .
- ولكن مؤخرا سمعك أحد السجناء تحدث نفسك في الزنزانة.
- أحدثي نفسي ؟ "ضحك" لا أنا أحدث صديقي "كريم" هذا كل ما في الأمر.

استغرب الدكتور و نظر في ملف الخاص بزيد، ثم نظر اليه، في تلك اللحظة تيقن زيد أن هناك خطبا ما، سأله ما الخطب دكتور أيعاني كريم من شيء؟

- لا لا شيء، فقط أخبرني عند صديقك "كريم" أريد أن اتعرف عليه أكثر.
- إسمه عبد الكريم كامل وأنا أحب أن أناديه اختصارا بكريم وهو أيضا يحب ذلك، حُكِم عليه بالمؤبد هذا ما عرفت منه ومتواجد قبلي في الزنزانة.
- هل تراه دائما في الزنزانة؟
- ما هذا السؤال الغريب طبعا يا دكتور مثله مثلي إلا أنه يعمل في ورشة غير الورشة التي أعمل فيها ودائما ما يلازمني في المطعم، كما نتناول وجبة فطور الصباح معا والغذاء حتى وجبة العشاء.

- وكيف معاملة "كريم" معك؟.
- جيدة جدا دائما ينصحني بالإبتعاد عن المناوشات، وبالمناسبة لم يعجبه الأمر عندما تم الإعتداء علي من قبل "الجزار" وجماعته، هنا استوعب "زيد" خطورة ما تفوه به عن كريم والذي قد يدخله في خانة الإتهام.

- أتشك في كريم يا زيد؟، رد زيد متوتراً وكان سؤال ذكي من الدكتور.
- لا لا طبعا لن يفعلها، هنا لاحظ الدكتور شيء وهو أن "زيد" مرتبك ويخفي عنه أمرا ما.
- تستطيع الذهاب الأن وحاول أن تضيف جرعة إضافية .
- حسنا سأفعل، بعدها غادر زيد متجها للزنزانة وفي طريقه صادف الحارس الجديد.
- آه هذا أنت مجددا ذكرني بإسمك.
- "زيد زيدان" تبدو ذاكرتك ضعيفة.
- ربما بالمناسبة درس شخص معي كانت كنيته "زيدان" إسمه الكامل "عمار زيدان".
- رد عليه زيد: وعيناه تمتلئ سعادةً أحقا درس معك أخي؟
- (متعجب) أخوك؟ في أي ثانوية كان؟ ربما تشابه أسامي لا غير.
- ثانوية الياسمين.
- فعلا درست هناك أمممم يعني عمار شقيقك.
- نعم أخي الأصغر.
- تعلم أخاك له فضل علي ساعدني في الكثير من المرات.
- أه الحمد الله.
- بالمناسبة إن احتجت لشيء أخبرني ولكن بشرط أن لا ينتبه علينا الحراس والسجناء
- شكرا لك سأفعل.

***

الزنزانة رقم 77

ثم رجع زيد لزنزانته وفي الجهة المقابلة كان الدكتور في حيرة واسرع لمكتب المأمور يحمل ملف زيد وما دونه خلال الجلسة الأخيرة، قرع الدكتور باب مكتب المأمور، سمح له الدخول بعد ذلك، وبدأ الدكتور بالكلام.

- حضرة الظابط الزنزانة التي يتواجد فيها زيد هي زنزانة منفردة أقصد هي الوحيدة التي تتكون من شخص واحد فقط، عكس باقي الزنزانات التي تحتوي على سجينين.
- ما بك يا دكتور أنت تعلم هذا، لك أكثر من عشرة سنوات هنا، نعم زيد الوحيد في تلك الزنزانة كما أنها ضيقة ولا تتسع إلا لسرير واحد.
- أعي ذلك ولكن أريد أن أسألك عن شخص معين، بالأخرى سجين.
- طبعا تفضل.
- هل يوجد في السجن شخص يسمى "عبد الكريم كامل" محكوم عليه بالمؤبد؟، وما من أكمل الدكتور حديثه إلا قام المأمور من مكانه وأسرع وأغلق الباب ثم رجع وطلب من الدكتور إعادة ما قال.
- أسألك عن سجين إسمه عبد الكريم كامل حكمه المؤبد.
- من أين لك بهذه المعلومة؟ هذا السجين انتحر منذ 30 سنة وقبل أن توظف أنت ومعظم الحراس لا يعرفون القصة إلا أنا ومساعدي لأن معظم الحراس تغيروا ولم يبقى إلا أنا ومساعدي.
- عجباً مادام الأمر هكذا كيف لسجين سُجِن مؤخرا أن يعرف بهذا؟.
- من هذا السجين؟

أقدم سجين هنا له 20 سنة، كذلك الأمر فيما يخص السجناء من عاصروا الحادثة، يا طُبق فيهم حكم الإعدام أو أفرج عنهم أو تم تحويلهم الى سجن آخر.

- زيد أخبرني بهذا وأنا أعالج حالته، أخبرني عن كريم الذي يحادثه، وهو مسجون معه في نفس الزنزانة.
- هذا "زيد" صدقا أمره محير.
- بالمناسبة أين انتحر كريم؟، (صمت) قليلا، ثم أجاب:
- كان في الزنزانة رقم 77.
- تقصد زنزانة زيد!
- نعم أريد أن أسألك بدوري.
- تفضل.
- تؤمن بالأشباح؟

- ماهذا السؤال لا لا يوجد للأشباح معنى، إنما هي حالة مرضية تصيب العقل تجعله يتوهم ويرى شخصيات غير حقيقية تتجسد له نتيجة الصدمات والهلوسات مثل ما يحدث لزيد الأن.
- أتقصد أن زيدا مصاب بهذا المرض؟
- قطعا وهو الأن غير مدرك لذلك يعتقد أن شخصية كريم موجودة على الواقع ولكن هي عكس ذلك.
- نفترض جدلا أن زيداً أصيب بالجنون أو مرض عقلي لكن كيف له أن يجسد شخصية كريم التي يجهلها الكثير.
- ربما سمع من أحد الحراس.
- الحراس؟
- نعم ربما أحد من الحراس أطلع على الملفات القديمة سراً.
- ربما، رأيك فيه وجهة نظر مقبولة سأحقق في الموضوع.
- بالمناسبة لابد لنا أن نحيل زيد على "المصحة العقلية" لكي لا يزداد سوءا، ولابد لي أن اقدم تقريرا على ذلك توقع عليه أنت كذلك.
- أدري ولكن الأن تؤرقني قضية القتل أنت تعلم تداعياتها علي و علي السجن.
- أين وصلت في القضية؟
- لا شيء جديد إلا انني أشتبهت بـ: "زيد" والأن حتى ولو قام بذلك سيكون مصيره المصحة العقلية لأنه في الغالب غير واعي لأفعاله كما له سبب وجيه للإنتقام، الدكتور: صحيح.

وفي هذه الأثناء وصل "زيد" لزنزانته بعد أن كان عند الدكتور ولحظة وصوله للزنزانة لم يجد كريم، ثم استلقى على سريره ونام لبعض الوقت بعدها استيقظ ووجد كريم، سأله "زيد".

- كم تشير الساعة الأن يا كريم؟
- الساعة: الرابعة مساءا .
- مر الوقت بسرعة .
- سمعت أنك زرت الدكتور.
- أه صحيح بالمناسبة يا كريم سألني عنك.
- أعلم.
- (مستغربا) كيف تعلم ؟
- لا تقلق لدي طريقتي للوصول إلى ما أريد لا تنسى أنني أقدم منك في هذا السجن.
- أعلم أعلم ذلك، أخبرتني مرات كثيرة، آه بالمناسبة كريم أحقا أنت الذي قتلت الجزار؟

في هذه اللحظة سمع حركة خلف الباب ثم خفض صوته، بعدها تسارعت الخطوات، ثم ذهب زيد ليتنصت واقترب من باب الزنزانة التي كانت حديدية ومسطحة وتوجد فيها فقط فتحة صغيرة في أعلى الباب كأنها شباك صغير وفتحة صغيرة أخرى أسفل الباب يتم إدخال الطعام من تلك الفتحة، نظر زيد من تلك الفتحة التي في الأعلى ولم يجد شيء هنا تبين له أن الحارس غادر مسرعا.

وبينما هو كذلك أخبر كريم بأن لا يقلق لقد غادر الحارس، وما إن التف من حوله لم يجد كريم ابتسم زيد ونادى على كريم أخرج أدري أنك في الحمام، ولكن دون جدوى، وكان في الحمام ستائر توضع من أجل ستر المساجين عن أعين بقية المساجين، فهنا ظن "زيد" أن "كريم" في الحمام يتستر منه.

بعدها توتر "زيد" أزاح ذلك الستار فلم يجد شيء في تلك اللحظة فزع زيد وخر مغميا عليه من هول الصدمة، استيقظ في اليوم الموالي نظر من حوله ولم يجد شيء، كان يعلم أن النهار قد طلع، وهو تحت الصدمة مما رأى ليلة البارحة، وبينما هو كذلك حتى أقبل عليه الحارس ليفتح الزنزانة من أجل العمل.

***

الشك

وهو متوجه للعمل نادى عليه الحارس ليس من هذا الطريق اتبعني، تعجب زيد وتسائل في نفسه ما الذي يجري؟ المفروض أن أذهب للعمل في الورشة واليوم ليس يوم عطلة، بعدها أكمل طريقه إلا أن وجد نفسه أمام غرفة الدكتور ثم لوح له الدكتور بأن يأتي له، لاحظ الدكتور أن هناك خطبا ما.

- لما حالتك هكذا زيد ألم تنم جيدا؟
- لا بالعكس نمت جيدا ولكن على ما يبدو أن نزلة برد أصابتني.
- نزلة برد؟ لا لا أظن ذلك هذه ليست أعراض نزلة برد، أخبِرني عند صديقك كريم.
- هل حدثته مؤخرا؟

هنا ذعر زيد لسماع اسمه ولاحظ الدكتور ذلك.

- نعم تحدثنا البارحة.
- البارحة؟ وماذا عن اليوم.
- لا لم أتكلم معه اليوم .
- لما ؟
- لقد تخاصمنا ليلة البارحة.
- هيا انظر الي اخبرني ما الذي حدث لم اقتنع بجوابك.

تردد زيد، ولكن في الأخير استسلم للوضع لأنه بدأ يشك في نفسه أن ما يراه مجرد وهم وأن شخصية "ساتان" تجسدت في الواقع.

- في الحقيقة يا دكتور البارحة حدث معي موقف عجيب ورهيب مما أدى إلى إغمائي
- أوف! إلى هذه الدرجة ما الذي حدث أخبِرني لا تخف.
- بينما أن أكلم كريم البارحة حتى أسمع صوت تسارع خطوات وكان ذلك بعدما صرحت لكريم ..... (صَمِتَ) زيد.
- ما بك اكمل الحديث.
- عندما سألت كريم هل هو القاتل، لأنه أخبرني من قبل أنه هو! وكان ذلك عن طريق "المبرد" الذي أستعمله في النجارة استند عليه كريم وأنا لم أصدقه.
- هذا هو السبب؟
- لا لم أكمل كلامي بعد، وفي تلك اللحظة وبعد البوح بهذه الجملة سمعت خطوات كما أخبرتك فذهبت لكي أتحقق على من يتنصت علينا، فلم أجد شيئا أدركت أنه حارس غادر مسرعا لما سمعني أتكلم عن الجزار، وفي الحقيقة ما أرعبني هو لما عدت لمكاني لم أجد "كريم"، وأنت تعلم يا دكتور أن الزنزانة ضيقة وبحثت عليه ولم أجده، هنا لم أتحمل وخارت قواي ومن هول الصدمة فقدت وعيي، كما أخبرني أنه على علم بما جرى بيني وبينك وتعجبت لأمره، وأجابني أنه أقدم مني في الزنزانة وعندما يريد شيئاً يعرف كيف يتحصل عليه.

- بصراحة يا إبني لا أخفيك أمراَ حالتك تزداد سوءا لهذا قررتُ بأن تُعاَلج في مصحة خاصة بمرضك.

- أتقصد أنني جُننت؟

- لا يا إبني إنما أنت مصاب بمرض "إنفصام الشخصية" و "الهذيان" ولابد من أن تعالج في مكان مخصص لذلك قبل أن يسوء الوضع، وبالتالي نطمح لكي تتحسن في المصحة.

- ومتى أنتقل؟

- هذه الأيام بمجرد أن نكمل الأمور الإدارية يمكننا نقلك من هنا.

- أرجوا منك أن تخفي السبب الرئيسي عن مغادرتي السجن لا أريد أن يعتقدوا بأنني مجنون.

- لا تقلق لقد نبهت على هذا.

- دكتور هل لي بسؤال؟

- نعم

- لا أدري أصبحت أشك في أمري! أو بالأحرى، هل كل ما أراه حقيقة؟ أم تصور يصنعه عقلي، قل لي يا دكتور "حسين وأمين وسليم" موجودون فعلا أم شخصيات وهمية هي أيضا؟

- لا لا أطمئن هي موجودة وهم سجناء مثلك.

- شكرا الآن ارتاح بالي، بعدها رجع زيد لزنزانة وحينما وصل إليها لاحظ وجود "كريم" فيها، أغمض عينيه وبدأ يتكلم في نفسه.

- هذا وهم.

ويردد "زيد" هذه العبارات، إلى أن فتح عينيه مجددا ووجد كريم واقف وينظر إليه وحاول وأعاد الكرة مرات ومرات، لكن دون جدوى، هناك صاح بحسرة اتركني دعني وشأني لقد انقلب كل شيء ضدي، لقد تعبت لا أريد أن أغادر السجن كل ما أريد: هو أن أسترد عافيتي وإدراكي للأشياء، ذَقتُ ذرعا من هذه الأوهام يكاد قلبي ينفطر من الحزن ولم يبقى وأُجنُ حقيقةً، ويكرر: اختفي اختفي، (والدموع تنهمر منه) كان يبكي!

خلال هذه الأثناء يتقدم "كريم" نحوه ويضمه إليه في مشهد يوحي بأنه معه لا ضده، تعجب "زيد" من هذا الفعل لأنه لم يكن ينتظر تلك المعاملة وخصوصا بعد ما بدر منه. كانت مفاجأة أن يشفق عليه كريم، بعدها تكلم كريم.

- منذ 30 عاما وفي هذه الزنزانة لقيت حتفي، قتلت نفسي جراء العذاب الذي كنت أذوقه من المساجين والحراس آنذاك، و"مأمور السجن" لم يحرك ساكنا وعلى الرغم من الشكاوى التي كنت أقدمها لا جدوى، لذا عملت على مساعدة الأبرياء والضعفاء أمثالك.

في هذه اللحظات زيد مستغرب ومندهش مما يسمعه من كريم لأول مرة وأدرك أن هذا ليس من وحي الخيال ولا تحدثه نفسه.

- وقررت أن أنتقم من كل سجين أو حارس أو حتى مأمور السجن، لقد كان هنا في هذه الزنزانة أشخاص غيرك سجنوا فيها، ولكن لم أظهر نفسي إلا لشخص كان قبلك وأنت على حقيقتي، حينها ظهرت بشخصية ما أسميتها أنت "ساتان" إلا لشرار الناس وذاقوا من الكأس التي شرب منها الضعفاء جراء أفعالهم الخصيصة، بالمناسبة أنت لا تعاني من شيء يا "زيد" إنما أنا أردت أنا أحقق لك أمنيتك عندما سمعتك تحدث نفسك عن تلك الفكرة بعدها أردت أن أساعدك وظهرت لك بشخصية كريم المسجون معك في الزنزانة.

لم يتمالك زيد نفسه مما سمع، بعدها.

- كأنني أسمع إلى أحد الأساطير القديمة عن الأشباح، وهذا غير منطقي كيف لشخص مات منذ زمن أن يرجع بعد 30 سنة! هذا لا يصدق هذا محال، آه نعم هذا عقلي الباطني يصور لي الخطة على أنها حقيقة جراء الصدمات.
- يا زيد ألم تتسائل عن الشخص الذي كان يناديك ذلك اليوم ولم تره؟ ألم تعلم من كان؟ والشخص الذي لمسك بأصابعه ثم لم تجده، ذلك أنا يا زيد كنت أحقق لك ما أردت.

هنا زيد مصدوم وبدأ يستوعب الأمر أخيرا، كل ما قاله كريم ينساق للمنطق لأنه عاصر تلك الأحداث.

- كما أنني لمّحتُ لك تلك المرة لكنك لم تستوعب فمكان لي الا أن أخترع كذبة السجائر.
- ولكن إن كنت تظهر لي فقط بشخصية "كريم" فكيف كنت تتحدث مع باقي المساجين.
- (يبتسم): في الحقيقة لم أكن أحدثهم إنما أطوف حولهم وأسمع كلامهم فأنا لدي القدرة على أن أطوف على كافة السجن وأتقصى الأخبار وأعرف ما لا تعرفه، لا تنسى أنا كيان مختلف عنك.

- ولكن ألم تخبرني أنك روجت فكرة بينهم بأنني مجنون فكيف كان ذلك؟
- ببساطة أنا لم أخبرهم ولكن الحراس بدءوا يتحدثون بهذا وأصدقائك لاحظوا تصرفاتك وأنا أستغليت هذا الموقف لصالحي، وأخبرتك بهذا لكي تطبق الخطة وتدري أن الأمور تسير على ما يرام.

- بالمناسبة إن لم تقتنع بي سترى مني ما يثبت صدق ما أعنيه عن قريب، لا لا أريد منك شيئا لقد صدقتك، أنت صدقتني ولكن هناك من لم يصدق بوجودي لذا هذا سيكون دليل لهم على أني مالك هذه الزنزانة واستقر فيها، وأفعل في هذا السجن ما أريد. دعني أقص عليك ما حدث قبل مدة من الزمن والتي بسببها تخلصت من "الجزار."

***

قبل عشرة سنوات

قبل عشرة سنوات من وقائع جريمة "الجزار" حدثت <<جريمة قتل>> أخفاها "المأمور" بتواطؤ مع مساعده وتعود القصة بعد شنق "كريم" نفسه والذي كان يتواجد في الزنزانة رقم 77، كما تعاقب عليها سجناء آخرين، وكان من بينهم "الجزار" وتشارك معه في تلك المقصورة سجين يدعى "معروف"، كان "الجزار" هو السيد آنذاك يتأمر في "معروف" ويهينه، خصوصا بعد أن أدرك أن "معروف" كان عن معزل من الناس ويحدث نفسه كثيرا، وذات يوم اشتكى "معروف" من الجزار للمأمور مما استدعى "المأمور" للتحقيق مع "الجزار" وتبين حقا أن "الجزار" تعدى على "معروف" وبالتالي تم معاقبة "الجزار".

كما كان "معروف" يدعي رؤية شخص ثالث في الزنزانة وتم آنذاك إحالته على طبيب السجن والذي كان "طبيب عام" لا "طبيب مختص بالأعصاب والأمراض العقلية"، حيث تم إعطاؤه بعض "المهدئات"، كونه يعاني من الأرق وقلة النوم جراء العنف الذي تلقاه من "الجزار"، كما عمل "المأمور" على فصلهما، وذلك من أجل أن تتحسن صحة "معروف"، لكن هذا لم يحدث لأن "المأمور" كانت تشغله آنذاك قضية أخرى، لذا بقيت الأمور على حالها، وبعد خروج "الجزار" من السجن الانفرادي عمل على الانتقام، في البداية ولكي تنجح خطته تغيرت معاملته مع "معروف"، بحيث لم يتعرض له قط منذ تلك الحادثة، ولكن الرغم من ذلك كان "معروف" غير مرتاح خصوصا بعد أن حذره ذلك السجين الثالث.

وفي إحدى المرات التقى المأمور مع "معروف" وسأله عن معاملة "الجزار" له، وما كان من "معروف"

- الا الإجابة بـ: "لا أدري أنا غير مرتاح لقد حذرني صديقي منه".

ثم انصرف، وبعدها بأيام قليلة حدثت الفاجعة بموت "معروف" خنقا من قبل "الجزار"، وأخفى هذه الحقيقة "المأمور" لكي لا يُسأل بالتقصير و يحال على التقاعد، لذا كَيفَ الجريمة على أنها موت طبيعي <<لا كونها جريمة قتل>>، وساعده في ذلك "طبيب السجن" الذي كان آنذاك، بعدها عمل المأمور على غلق تلك الزنزانة ولا يحال عليها أي سجين، حتى مرت الأعوام وسُجن "زيد" وكان السجن مكتظا عن آخره ولم يتبقى إلا تلك الزنزانة رقم 77 مما استدعى المأمور أن يُودع فيها "زيد".

وهنا ترجع بالمأمور الذكريات الى ماحدث قبل 10 سنوات والذي كان في حيرة من أمره، كان يتسآئل ربما بين الجريمتين ترابط في الأحداث، ولكن ما أرقه أكثر أن تلك الزنزانة أغلقت وحول الجزار إلى زنزانة أخرى، ولم تحدث بعدها أي جريمة قتل ، الا هذه المرة.

- ياإلهي تبين لي الأن كل شيء، أيقصد ذلك السجين بـ: قوله "السجين الثالث" هو أنت؟ صحيح؟

- أحسنت نعم هو كذلك هو أيضا المسكين لم يصدقه أحدا.
- ولكن لِمَ لم تساعده كما تساعدني الآن، مثلما قصصت علي لقد عانى كثيرا هو الآخر.
- لقد ساعدته وأخبرته بأن الجزار ينوي قتله ولا بد له أن يغادر الزنزانة أو يدافع عن نفسه وأن لا يثق في المأمور والحراس، ولكن للأسف لم يعمل بنصيحتي ولقي حدفه.

كما لدي قاعدة وهي أُقدم المعلومات والنصائح ولا أتدخل فعليا، فمثلا: في الحقيقة أنا دائما أرافقك في الورشة وكنت هناك عندما تم الاعتداء عليك.

- ولكن ألم تتفاعل عندما أخبرتك عن الجزار وما فعله بي؟.
- (يضحك) لقد افتعلت ذلك لكي تصدق الأمر في المستقبل.
- أتعني جريمة الجزار.
- نعم كان كل هذا تخطيط مني إضافة لذلك أردت أن أريك جانب من حقيقتي التي كنت تجهلها عندما رميت علي الوسادة.
- نعم لا تكمل لقد شاهدت ذلك وأرعبتني ولا أريد أن أرى "ساتان" مرة أخرى.
- "كريم" أريد أن أعرف عنك كيف تظهر ومن أنت يعني "ساتان أو كريم" ولما تظهر لي فقط؟.
- أخبرتك من قبل أنا "ساتان" للأشرار و "كريم" للضعفاء، وأظهر عندما أريد ولأي شخص أختاره، أنجذب للطاقة الناتجة عن الصدمات التي تحدث للسجناء، هذا ما يحق لك أن تعرف عني.
- حسنا حسنا.
- كيف حال سلوى هل هي بخير ؟
- (حائر)سلوى؟ من سلوى؟.
- (ضاحكا) أنسيتها بهذه السرعة إبنة أختك من عساها ستكون.
- آه (يبتسم) نعم هي بخير، نسيت لوهلة أنك تطوف علينا وتعرف كل شيء عن السجناء .
- وأعرف أكثر ما تتعقد.

هنا ارتبك "زيد" وبدأ يفكر بما قد يحدث له من قبل "ساتان" لو غضب منه.

- بالمناسبة يا زيد ستنتقل من هنا عن قريب وربما تغادر السجن ولن تراني ثانية (يضحك).
- أحقا ؟ ولكن في هذه الحالة سيعتقد الأطباء ليس بي شيء وبالتالي أعود الى هذا المكان.
- لا تقلق أنا على ثقة بما أُقول.

تعجب منه زيد ثم أدرك أن هذا ما كان يصبو إليه.

***

ساتان

اليوم الموالي وبينما هو مستلقي كعادته "زيد" يستيقظ على صوت الحراس وهم ينادونه وكانوا أمام الزنزانة ومعهم "المأمور"، دخل المأمور للزنزانة.

- أين أنت يا كريم ؟ أظهر نفسك؟، بعدها التف إلى "زيد" يا زيد أين صديقك كريم؟ وكان "زيد" ينظر للمأمور و "كريم" خلف المأمور مباشرة، المأمور: أجب يا هذا؟ في هذه الأثناء أشار "زيد" بيده نحو المأمور، وأخبر المأمور أن "كريم" يقف خلفه.
- ماذا خلفي؟ ثم نظرا خلفه ولم يرى الا الحراس.
- أتستهزئ بي؟
- لا يا سيدي أقسم أنه خلفك
- أتقسم كذبا أيها المجنون، أيها الحراس قيدوا هذا المجنون سنرمي به في مستشفى المجانين.

وفي هذه اللحظة تم تقييد "زيد" وأُخرج من زنزانته، وهو محاط بـ: أربعة حراس ومعهم المأمور، ثم فجأة وهم يسيرون في أروقة القسم حتى يهمس "كريم لزيد" سترى الآن حقيقة "ساتان"، بعدها صاح زيد بأعلى صوته: لا لا لا، ومع تلك الصيحة ونتيجة لها ضربه أحد الحراس.

- ونادى عليه: مابك أيها المخبول أفزعتنا.
- اتركوا هذا المجنون فهو لا يعي ما يقول وما يفعل.

وفي هذه اللحظات تهب ريح قوية وتنطفئ الأنوار ويُسمع حركات غريبة، بعدها بدأ الحراس بالصراخ ما هذا ما الذي يحصل وينادون على المأمور سيدي هل أنت بخير؟

وهم في تلك الأجواء حتى يسمعوا صرخات قوية من المأمور وبعض الكلمات: اتركني أيها الوحش أفلتني وهو يتألم، ثم نادى على الحراس أنقذوني منه، وهنا فزع الحراس ونادوا فيما بينهم أين السجين رد عليهم.

- أنا هنا لا أدري ما الذي يحدث؟

وكان يمسك به أحد الحراس ولم يتركه أبدا لكي لا يهرب منهم، ثم لاحظ "زيد" والحراس كأن نورا بعيد يقترب منهم، ويدنو أكثر فأكثر و في الأخير تبين أنهم حراس آخرين يحملون مصابيح، جاؤوا لحظة سماع صراخ الحراس والمأمور، بعدها تأكدوا من "زيد" فوجدوه في مكانه ولكن لم يجدوا "المأمور" وهم في حيرة من أمرهم.

- اين المأمور؟ اين أختفى؟، أصلحوا الأنوار أصلحوا الأنوار.

ثم أسرع أحد الحراس ينادي بعض السجناء من أجل أن يتم تغير تلك المصابيح وتم ذلك، ثم عادت الأمور كما كانت عليه، وفي تلك اللحظة عند اشتغال الأنوار وجدوا بركة من الدماء وإلى جانبه "مسدس المأمور" و"قبعته" مرمية هناك، ثم صاح بعض الحراس لهول المنظر.

ولم يستوعب "زيد" هنا ما رآه.

و في تلك اللحظة أغمي عليه كعادته ككل صدمة، فحملوه الحراس وأخذوه إلى العيادة، بعدها سُمع صراخا من السجناء، أسرعوا الحراس إلى مصدر الصوت وكان السجناء يشيرون بأصابعهم للسماء صوب أحد الأبراج العالية في السجن،وفي هذه اللحظة رفع "مساعد المأمور" رأسه حيث كان من بين الحراس فشاهد "المأمور" معلقا هناك والدماء تتقاطر منه، بعدها أمر "مساعد المأمور" بإنزال "المأمور" وبدأ التحقيق مع الحراس الذين رافقوا المأمور، وفي المقابل استيقظ زيد ووجد نفسه في غرفة من غرف العيادة والطبيب هناك بجانبه ثم عاين زيد المكان ورأى كريم جالس في زاوية تلك الغرفة ثم قام من مقامه ذاك وهو يمشي ناحيته، لم يحرك زيد ساكناً.

- اذا سألك من سيحل مكان المأمور وضغط عليك أخبره بكل شيء عني وعن ساتان قل له أن ساتان هو الذي قتله انتقام منه، ثم غادر كريم الغرفة، ولم ينطق زيد أي كلمة. بعدها لاحظ الطبيب كأن خطبا في "زيد" وتم قياس حالة ضغظ "زيد".
- ضغطك عالي، عجبا قبل ربع ساعة كان جيدا ما بك يا ابني؟
- زيد: لا لا شيء تذكرت فقط ما حصل.
- أه حسنا لا تتعب نفسك ما حدث قد حدث وأنت لا دخل لك فيه.
- شكرا لك دكتور.

وفي تلك اللحظة كان السجن في حالة طوارئ بعد مقتل "المأمور" خصوصا أمام أعين الحراس، ولم يجدوا تفسيرا لذلك، وكيف للرياح فجأة أن تهب والطقس كان معتدل في الخارج ولا يوجد أي أعاصير أو رياح، بعدها تم استبعاد "زيد" من الشبهة لأنه كان مكبل اليدين ومحاط بالحراس، كما كان أحد الحراس ملازمه، و بالرغم من ذلك إلا أن التحقيق شمله: وجاء في التحقيق أن "زيدا" زعم أن "ساتان" وهو الشخصية الثانية "لكريم" من قتل "المأمور" انتقاما منه، و هذا الإدعاء تم تجاهله في التحقيق كون أن "زيد" يعاني من مرض "انفصام الشخصية" وحول بعدها مباشرة للمصحة العقلية، كما عُين مساعد المأمور كمأمور جديد.

***

المصحة العقلية

بعدها أكمل زيد أيامه في المصحة وكان يعالج هناك من قبل أخصائين، وبعد مرور حوالي أسبوع، جاءت عائلة زيد لزيارته كالعادة ولم يكونوا على علم بكل ما يحدث لابنهم، استغربت أمه لما سمعت من أحد الحراس وكان صديق أخيه "عمار" ولم تصدق شيئا مما حدث "لزيد"، كما نصح الحارس "عمار" بأن يوكل "لزيد" محامٍ إن بقيت الأمور على ما هي لكي يتم التكفل به خارج أسوار السجن والمصحة، وهذا ما عمل عليه "عمار"، في حين كانت أم "عمار وزيد" حزينة جدا على ما حدث لفلذة كبدها وأرادت أن تزوره، فلم يُسمح لها ذلك إلا إذا أذِن الطبيب المشرف عليه حيث لا يتأثر أو يسوء الأمر أكثر مما هو عليه الآن، بعدها (حوالي ثلاثة أشهر) تحصلت أم زيد على الإذن وتمت زيارته هناك.

- كيف حال إبني العزيز؟ أشتقت اليك و(حضنت زيد وهو بادلها الأمر وقبل رأسها)
- أمي أشتقت لرائحتك الزكية ومشاهدتك عن قرب، السجن منعني عن كل هذه الأحاسيس.
- نعم يا بني، أمازلت ترى ذلك الشخص؟ هنا ؟ كيف يعاملونك؟
- لا أمي الحمد الله لا أراه حدث ذلك في السجن فقط.

نظر إليه عمار بحسرة بعدها كان على وشك أن يتكلم إلا أنه سكت، إنتبه له زيد.

- مابك أخي هل كنت تحاول أن تقول شيء؟
- لا أخي لا شيء لا تشغل بالك الأهم أن تكون أنت بخير.

وفي هذه اللحظات أقبل عليهم المحامي الذي كان قد مسك قضية "زيد" سابقا، نظر اليه فعرفه.

- (متعجبا) ما الذي تفعله هنا حضرت الأستاذ؟
- مرحبا زيد أن هنا من أجل موكلي كنت مع الطبيب المشرف عليه نتناقش عن مدى إمكانية إطلاق صراحه بكفالة عائلية.
- آه حسنا وماذا عني؟ (يضحك).
- مابك؟ أنت تتحسن "زيد"، منذ قليل سألت عنك طبيبك الخاص وأخبرني أن حالتك في تحسن مستمر، وأن "كريم" لم يعد له وجود.

كان في الحقيقة كل من "المحامي وعمار" يخفيان أمرا عن "زيد وأمه" من أجل أن لا تسوء حالة "زيد" للأكثر وأن لا يصيب "أمه" مكروه جراء ما يحدث لابنها وهذا كان بعد أخذ استشارة الطبيب وبقي الأمر سرا بين كل من المحامي وعمار، كما كانت فكرت المحامي هي تبرئة زيد من الأساس وأن يلتمس إعادة المحاكمة من جديد كون لحظة القبض عليه لم يتم تحويله على طبيب مختص بالأمراض العقلية، لذا ربما كان "زيد" غير مدرك لأفعاله أنذاك وبالتالي يفرج عنه، أو يختار طريقة أخرى وهي ما كان يريده "زيد" باستغلال تلك الفجوة القانونية التي تسمح للمرضى الذين يعانون من مرض في عقولهم أثناء محكوميتهم أن يفرج عنهم، وبهذا اختار المحامي الطريق الثاني لأنه أقوى عكس الإجراء الأول بحيث يمكن أن يرفض طلبه على أساس أن "زيد" كان بكامل قواه العقلية أنذاك ولم يكن يعاني من قبل بأي مرض عقلي.

قد تتسائل عن سبب سر "زيد" وهو بكل بساطة أن "زيدا" لم يتحسن أبدا كما تعتقد أنت وكما هو يعتقد، إنما بقي الحال على ماعليه كيف؟ لا تتعجل سأختصر الأحداث، في الحقيقة "ساتان" أو "كريم" مثلما أردت أن تناديه كان ملازما "لزيد" ولم يفارقه.

***

المسن

وتعود تلك الأحداث إلى فترة إحالة زيد على المصحة، وكان ذلك في أيامه الأولى التي تعرف على رجل مسن يعالج في نفس القسم، تقرب من زيد وتعرفا على بعضهما البعض، وكانا يجلسان في ساحة المشفى عند شجرة كبيرة، كان تحتها كرسي، فكان كل من زيد وذلك المسن يجلسان هناك، كما كان المسن يحب أن يلجأ لتلك الشجرة، وهذا كله تحت أنظار الأطباء والحراس هناك، كان الطبيب يلاحظ على أن زيد يكلم حاله كلما ذهب إلى هناك، وذات يوم سلم الطبيب على زيد وسأله على ما يفعله هنا؟

- أنا جالس كما ترى يا دكتور.
- وكانت خطوة ذكية جدا من الدكتور.
- لم تعرفني بعد عن من يرافقك؟

ولم يحدد الدكتور لا جنس معين ولا شخص معين.

- آه تقصد السيد: "منصور" نعم هذا "عمي منصور" تعرفت عليه منذ أيام الأولى، لا يحب مخالطة الناس ولا يكلم أحد غيري هو شخص مسن كما ترى.
- أه تقصد منصور سالم ؟
- يبدو أنك عرفته؟
- طبعا هو يعالج عند زميل لي.

ثم غادر الطبيب، ومن تلك اللحظة أدرك الدكتور المشرف على "زيد" أنه يعاني هذه المرة من شخصية جديدة .

وهكذا تكون الصورة قد اكتملت وبالتالي لابد على الطبيب أن يوافق على التصريح، وهذا ما كان فعلا تم الموافقة على تصريح الطبيب ولم يتبقى إلا على العدالة أن تنظر في الملف و يتم المصادقة عليه. فكانت هذه مهمة المحامي التي عمل عليها، وبعد أيام أتت الموافقة وهذا ما أبهج قلب والدة زيد ولكن بشرط أن يبقى تحت العناية الطبيبة ومراقبته وتمت كفالته.

وقبل ليلة واحدة من مغادرة زيد للمصحة وبعد 06 أشهر كاملة قضاها هناك، لاحظ زيد الحزن باديا على وجه ذلك المسن.

- يا عماه مابك؟ لما الحزن يسيطر عليك؟
- أنا حزين لأنك ستغادر المكان وتتركني وحدي بعد أن تعلقت بك وشعرت بأنك ابني.
- لا يا عمي لا تقل هذا سأزورك إن سنحت لي الفرصة، صحيح سأتابع علاجي خارج هذه المصحة ولكن لن أنسى أمرك.

- لا لا داعي لذلك فهذه آخر ليلة بيننا بعدها لن تجدني.
- تعجب زيد: لما ؟ أنت أيضا يتم نقلك؟
- ويحك! يا زيد كل من هم حولك أدرك وجودي إلا أنت لما غشيم الى هذا الحد!

في تلك اللحظة أحس زيد بالقشعريرة وحينها أدرك أن من يكلمه هو ساتان، فجأة تحول المسن الى شكل "كريم"، هنا ذُعِر "زيد" أكثر، ومن حسن حظه لم يغمى عليه هذه المرة، وقهقه "كريم" ضاحكا

- هذا أنا يا زيد: أنا ساتان أنا كريم أنا منصور أنا أختار من أكون!.
- يا "زيد" "منصور" شخص مات منذ زمن وأصبحت عظامه رميم وانتحر في تلك الشجرة التي كنت تجلس تحتها، و"الدكتور" كان ذكيا هذه المرة واكتشف أمري من الوهلة الأولى ولكن أنا لم أكشف أمري لك.
- يعني لن تفارقني حتى أموت أنا أيضا! وتتشكل لمن بعدي في شكلي؟
- لا أدري ربما نعم أو ربما لا، الوقت هو الذي يجيب عن هذه التساؤولات، والأن سأعود إلى مكاني حيث أنتمي وحيث أريد، تذكر يا "زيد" هذا درس لك هذا درس لك وبدأ "ساتان" في التلاشي شيء فشيء ويبتعد صوته عن زيد أكثر وأكثر حتى سيطر على زيد النعاس ونام.

وفي اليوم الموالي استيقظ زيد وتذكر ما حدث له، خرج مسرعا يبحث عن ذلك المسن، لكن دون جدوى، وفي هذه الأثناء ينادى عليه من أجل أن يغادر المكان وكان في انتظاره كل من "المحامي وأمه وأخوه"، بعدها غادر "زيد" إلى البيت ويكون بهذا قد لبث في السجن والمستشفى أربع سنوات كاملة.

***

الانتقام

وفي أحد الأيام وهو يمشي في الشارع بدأ يفكر بالانتقام ممن كان سبب في تدهور حالته وسجنه ظلما لذا سعى لاسترجاع حقه و ما يحفظ به ماء وجهه، وكانت تلك الفتاة التي أنقذها هي المنطلق الأول بعدها يأتي والد ذلك الشاب، و مع مرو الوقت وبالبحث والتقصي توصل زيد لمكان عمل تلك الفتاة وكانت من عائلة فقيرة وتعمل في ورشة الخياطة.

ذات يوم ترصد لها زيد وانتظر اللحظة المناسبة التي ينفرد بها وانقض عليها مباشرة وبسرعة خاطفة جرها إلى مكان خالا من أجل أن يعاقبها على ما فعلت به، وتلك اللحظة كانت الفتاتة تستغيث و تطلب النجدة لكن لا حياة لم تنادي إلا الحجر والشجر هناك.

- حان وقت قطف الثمار كنت انتظر هذا اليوم بفارغ الصبر.
- هذا أنت أرجوك سأخبرك بالحقيقة أنا أردت أن أشكر ذاك اليوم، كما عملت أن أشهد لصالحك لكن تم تهديدي وأنا أبي شيخ كبير ولا يوجد لي أخ يسند ظهري أرجوك تفهم الوضع (تبكي).
- لماذا لم تخبر الشرطة بهذا؟
- أخبرتهم ولكن كما تدري أن أباه كان صاحب سلطة وأنا فتاة ضعيفة لا حول لي ولا قوة انتظر سأخبرك سأخبرك لا تؤذيني أرجوك.
- أسرعي ما الأمر صبري بدأ ينفذ
- إنه على قيد الحياة أقسم أني رأيته منذ حوالي أسبوع
- من الذي رأيته؟
- الذي بسببه تم الزج بك في السجن، أقصد من كان يتحرش بي يومها.
- أتستهزئيني بي لم تجدي إلا هذه الحجة.
- أقسم أنني رأيته وسأدلك على مكان تواجده تحقق من الأمر بنفسك
- أخبريني.

بعدها وصفت البنت لزيد المكان بالتحديد وكانت مقهى معروفة في المدينة كان يقصدها الشاب وأصدقاءه، وأخل زيد سبيلها كان يريد فقط أن يستخرج المعلومات منها وبالفعل توصل إلى مبتغاه.

وبعد أيام وبينما زيد في ذلك المكان يترصد للشاب ليرى صدق ما ادعته البنت، فجأة يلمحه لم ينسى أبدا ملامحه، مقبل مع مجموعة من الشباب اقترب زيد منه فعرفه فكانت الصدمة! لم يصدق ما رآى بعدها غادر مباشرة ومسرعا للمنزل، وعندما دخل المنزل لاحظت والدته بأن هناك خطبا ما.

- ابني ما بك لما أنت هكذا؟
- أمي لا أدري اليوم رأيت مشهد لا يُرى إلا في مشاهد السينما، أم هو تصور من تصورات عقلي الباطيني لا أدري!.

- ما الخطب يا زيد؟ هل تعاني من شيء؟ هل رجعت لك الرؤيا القديمة؟
- لا يا أمي ليس الأمر كذلك، اليوم وأنا أمشي في الشارع أرى ذلك الشاب الذي قتلته أقصد الذي ضربته أنتِ على علم يا أمي كان دفاع عن النفس ولم أقصد ذلك حتى الضربة ولم تكن قاتلة.

- أعلم أعلم ولكن ربما شخص يشبهه يا ابني.

كذلك أمه لم ترد تحسيسه بشيء كانت تعتقد أن زيدا لم يشفى تماما، وفي هذه الأثناء دخل عمار وحاول أن يعرف ما الذي يحدث فأخبرته أمه بالذي جرى، بعدها سحب عمار "زيد" إلى خارج المنزل وحدثه.

- هل أنت متأكد يا أخي؟ أين رأيته؟

ثم وصف "زيد" المكان واسم المقهى بالتدقيق، وفي اليوم الموالي كان كل من زيد وعمار ينتظران قدوم ذلك الشاب لعل وعسى.

وفي هذه الأثناء يلاحظ زيد ذلك الشاب قادم مع أربعة شباب آخرين فأشار إليه.

- أنظر أخي هذا هو هذا.
- صحيح أربعة شبان ولكن أنا لا أعرفه أخي.
- لا عليك اتصل بالمحامي هو يعرفه هو يعرفه
- حسنا حسنا.
- استعجل أخي من فضلك لا نريد أن نضيع أثره.

بعدها اتصل عمار بالمحامي وطلب منه أن يأتي مستعجلا، وما كان من المحامي الا أن يأتي وبالفعل خصر المحامي للمكان وتسائل ما الذي يحدث ؟، أشار زيد إلى المقهى على جانبها كانت طاولة يجلس فيها أربعة شبان.

- حضرت الأستاذ بالله عليك ماذا ترى أخبرني؟

تلك اللحظة نظر المحامي إلى هناك، ثم صاح بصوت عالي:

- ياإلهي أنه الشخص الذي بسببه سجنت أم يخيل لي؟
- لا الأمر واضح خضرت الأستاذ ولكن لابد لنا أن نقطع الشك باليقين.

- كيف ذلك؟
- أولا لابد أن نتحقق من اسمه واسم عائلته، أخي عمار اذهب الى النادل وانظر كيف تستخرج منه المعلومات.
- لك هذا أخي أنا ذاهب
- انتظر عمار أنا قادم معك

وخطى المحامي خطوى واحدة يمشي حتى أمسكه زيد ومنعه

- ماذا تفعل يا زيد.
- يا أستاذ لا تدري ربما لو شاهدك قد يتعرف عليك ويخبر والده ويفر منا هذا إن اعتقدنا أنه هو دعنا نتأكد أولا.
- صدقا يا زيد كيف لم يخطر ببالي هذا الشيء.
- لا عليك.

بعدها عاد عمار وكان مبتسما.

- ابشروا يا جماعة أنه هو يا أخي هو، اسمه لؤي الغول وأبوه صاحب سلطة ومال وجاه
- نعم هو هو، كل شيء اتضح الأن يا زيد كل شيء.
- وما العمل؟
- لا عليك هذا عملي من الأن وصاعدا.

بعدها تحصل المحامي على إذن من أجل القبض على ذلك الشاب و التحقيق معه كما نوه المحامي أن لا يصل خبر لأبوه، وهذا ما حصل، ومن حسن خظهم أن النائب العام كان شريفا وكذلك الأمر هذه المرة لضابط الشرطة، وتم القبض على ذلك الشاب وتم التحقيق معه وحاول أبوه بكل سلطته أن يمنع هذا ولكن هذه المرة لم يحالفهم الحظ، ومن مجريات التحقيق تبين أن الشاب بعد المناوشة.

دبر هو وأبوه كل شيء، بحيث تم تزوير جواز سفر باسم أخر آنذاك لكي يسافر خارج البلد ولا يلاحظه أحد، كما تم تحرير شهادة وفاة له لكي يبدو كل شيء حقيقيا، بعدها لم يقدر الشاب المكوث هناك أكثر و عاد قبل شهرين للبلاد، بالرغم أن والده حذره من تلك الفعلة والتي تسببت في انكشاف المستور وظهور الحقيقة.

بعدها تمت تبرئة زيد، كما عوض عن كل المدة التي قضاها في السجن دون وجه حق وتمت معاقبة ذلك الشاب ولكن أباه بدهائه حكم عليه مدة قصيرة، عكس ابنه الذي ابتلع ما جناه وحكم عليه 10 سنوات سجن نافذ، ذلك لأنه زور وحرر وأُتهم بالعديد من القضايا.

***

الحرية

وهكذا يكون زيد قد استرجع حقه وعاد إلى حياته الطبيعية، كما صارت له ورشة نجارة صغيرة يقتات منها، وفي هذه الأثناء تذكر زيد الممرضة سلوى، ذلك لأن أمه أرادت أن تزوجه أحدى بنات خالته ولكن زيد كان يتحجج بأن الوقت غير مناسب، و في الحقيقة كان يفكر بـ: سلوى و يريدها في الحلال، ومنذ ذلك الحين شرع في البحث عنها.

ذهب زيد لذلك المشفى وسأل عنها لكن دون جدوى لم يجدها، تبين أن سلوى عملت في فترة سجن زيد كمتربصة في التمريض ولم تكن ممرضة فعليا يعني كانت تقوم بالتربصات آنذاك وهنا أحس زيد بالحسرة وصعوبة المهمة، ثم جلس زيد ليستريح على مقعد انتبه إلى وجود ممرضتين كانتا كبرتين في السن نوعا ما وعلى ما يبدو أن لهما مدة في هذا المكان، بعدها قام زيد من مقعده سلما عليهما.

- أرجوا المعذرة هل لي بعض الوقت؟
- تفضل.
- بعد (التحية و الشكر) الحقيقة أنا أبحث عن ممرضة أو بالأحرى كانت ممرضة في حالة تدريب لها أكثر من أربعة سنوات عملت هنا اسمها سلوى.

ثم وصف زيد لهما شكلها تقريبا، بعدها ردت عليه احداهما:

- أتذكر امراة بهذا الاسم صحيح كانت شابة آنذاك لا أدري أين هي ولكن أسأل المدرير هو الذي كان له ملفات الممرضات ربما يعرف شيء عنها بعدما تخرجت.
- شكرا لكما أفادني هذا كثير.

ثم انصرف واتجه إلى مكان إقامة المدير، ومن حسن حظه أن المدير كان هناك.

- سيدي لو سمحت هل لي بسؤال.
- تفضل.
- أريد أن أسألك عن ممرضة كانت طالبة هنا قبل أربعة سنوات في أحد الأقسام من هذا المستشفى والذي هو تابع للسجن اليس كذلك.
- هو كذلك ولكن لما تسأل؟ من أنت؟
- في الحقيقة سيدي أنا كنت مسجون قبل أربعة سنوات وذات يوم تم نقلي إلى هنا جراء حادث حدث لي وهنا تعرفت على تلك الممرضة والتي اسمها سلوى.

- سجين اذا وتبحث عن ممرضة! ماذا تريد منها؟
- سيدي من فضلك إن كنت تعلم عنها شيء أجبني وإن لم تكن تعلم شيء دعني أذهب لأبحث في مكان آخر.
- ما هذه العجلة كأنك لا تعلم أن البوح بهذه المعلومات لا يصلح لمن كان، وبالأخص إذا كان مسجون، لا أدري ما الغاية التي تريدها منها.
- إن أحببت اعطيك اسمي الكامل وابحث عنه صحيح كنت سجين ولكن سجنت ظلما ومؤخرا تم تبرئتي من ذلك.

بعدها كتب زيد: اسمه للطبيب وترك ورقة فوق مكتبه وغادر وأخبره على أنه بعد ثلاث أيام يرجع اليه. كان زيدا بارعا وذلك من أجل أن يسأل عنه ذلك المدير ويعلم الحقيقة، بعدها بثلاثة أيام عاد زيد للمدير.

- وماذا بعد؟ الا تثق بي ؟
- لقد نظرت وبحثت عنك كنت تعاني من مرض عقلي وترى أشخاص موتى هل هذا صحيح؟
- نعم
- والأن هل تراهم؟
- لا الحمد الله بعد المعالجة المكثفة والأدوية شفيت والحمد الله
- حسنا ما رأيك لو قلت لك أن تلك الممرضة غير موجودة ماذا ستفعل؟

هنا زيد توتر وغضب

- يعني أنا مجنون؟ تعتقد انها من وحي خيالي اذا، ولكن سألت عليها وقالوا لي كانت هنا ورأيتها تتكلم مع الطبيب ذلك الوقت.
- ابتسم المدير: لاتغضب كنت اختبرك فقط ولكن صارحني واخبرني الحقيقة ماذا تريد منها؟ خوفا مني لا أدري ربما تريد أن تؤذيها وأكون أنا هو السبب.
- أبدا لن أفعل ذلك كل ما في الأمر أريد أن أتقدم لخطبتها.
- المدير يبتسم مجددا: وما يدريك أنها عزباء ربما هي الآن متزوجة ولها أبناء، إنها أربع سنوات.
- صحيح ما تقول ولكن حدسي يقول عكس ذلك
- حسنا أرى أنك مصمم، سلوى بعد أن أكملت فترة تربصها أنا نقلتها الى مشفى خاص اسمه مشفى الهناء.

بعدها وصف له المدير بالضبط أين، وشكره زيد إلى أن غادر، وكان يوما سعيدا لزيد كيف لا وقد تحقق حلم حياته وهو أن يلتقي بأول من أسرت قلبه من النساء وكان يريد أن يتزوجها خصوصا تقدمه في السن بحيث كان في الخامس والثلاثين من عمره.

الى أن رجع للبيت لاحظت أم زيد السرور بادي على محياه.

- تبدو اليوم في غاية السعادة يا ترى ما سبب ذلك؟.
- شيء جميل سيحدث لي عن قريب يا أمي ادعي لي بالتوفيق.

فدعت له أمه بذلك.

- بعدها أم زيد: لم تخبرني بعد.
- أعدك يا أمي أنت أول من يعلم حين يتحقق الذي أطمح له.

***

اللقاء

وفي اليوم الموالي ذهب زيد للبحث عن سلوى، حتى وصل إلى ذلك المستشفى ثم دخل هناك كان مستشفى كبير وفيه كل شيء عصري ذلك الوقت، وكان هناك حارس سأله عن ممرضة تسمى سلوى وكان الرد من الحارس هي في ذلك القسم في الطابق الثاني من المبنى على اليمن تجدها هناك.

انطلق زيد مسرعا وصعد للطابق الثاني وبدأ يقلب عليها بين الغرف إلى أن وجدها، كانت تعالج إمرأة مسنة تستمع لنبضات قلبها وزيد ينظر إليها ويتأملها إلى أن خرجت من الغرفة ولم يبعد عينه عنها نظرت إليه.

- مرحبا هل أنت مريض أم في زيارة لمريض معين؟
- بل أنا مريض يا سلوى.
- (تعجبت) من أين تعرف اسمي؟ آه ربما الحارس ارسلك إلي تعال ما الذي تعاني منه ربما أستطيع أن اساعدك.
- سلوى ألم تتذكريني؟

نظرت إليه وهي متعجبة، وحركت برأسها للخلف قليلا وتداخلت حواجبها (حركة توحي عن الإستغراب).

- عذرا لا أتذكرك يوجد الكثير من المرضى في كل مرة فكيف لي أن اتذكر خصوصا إذا غادرت من يومك.
- صحيح معك حق كم أنا مغفل، كنت أظن عكس ذلك، سلوى هل لي بسؤال شخصي؟
- في الحقيقة أنا لا أريد أن يتدخل المرضى في شؤوني الخاصة وتبقى تربطنا معا علاقة عمل لا غير ، ولكن إن لم يكن محرجا تفضل.
- سلوى هل أنت على علاقة مع أحدهم، يعني هل أنتِ مخطوبة أو متزوجة؟
- تعجبت ثانية سلوى من هذا السؤال من شخص غريب ولا تتذكره في هذه الأثناء.
- ألم أخبرك أن لا تسأل سؤال محرجا وها قد وقعت في المحظور، دعني أذهب ينتظرني عمل كثير.

بعدها انصرفت وتركت زيد حزينًا وفي هذه اللحظة يتشجع زيد ويبوح بما في قلبه : "سلوى أنا معجب بك أريد أن تكوني زوجتي!"، فجأة توقفت سلوى: وعادت اليه مسرعة

ووجها محمرا من الخجل حيث كان الممر مليئا بالناس وسمعوا ذلك، ولم يدرك زيد الوضع حيث حماسه أعمى بصيرته آنذاك ولم يستوعب الأمر.

- هل أنت مجنون؟ ما الذي تقوله بصوت مرتفع، هذا مكان للعلاج وليس مكان للعشق وتبادل الكلمات.
- لا تظلميني أكثر يا سلوي مما ظلمني الناس، اعتذر منك لأنني تفوهت ببعض التفاهة ولكن أنا قصدي شريف.

وفي هذه الأثناء ينادي عليه الحارس بالمغادرة، واتهمه بالتحرش، فغادر زيد مسرعا دون أن يبدي أي كلمة أخرى، خرج من المشفى وهو محطم الوجدان، ويسير في الطريق ويكلم نفسه، فجأة تذكر.

- يا حبيبي لو تعلم انني كنت في مشفى المجانين ستكتمل المصيبة، وأهلها كيف أقنعهم، والأدهى والأمر أني سجين ومجنون يريد أن يخطب ابنتهم هذا اذا كانت عزباء!.

بعد مرور أسبوعين أعاد زيد الكرة وذهب لزيارة سلوى، وما إن وصل لباب المستشفى انتظر الحارس وغافله ودخل على خِلسة منه، واتجه مباشرة للطابق الذي تتواجد فيه سلوى، فجأة يرى زيد منظرا آلمه بشدة وهو شاب وسيم جالس إلى جانب سلوى ويتبادلان الكلام وكانت سلوى في قمة السعادة.

بعدها غادر زيد مطأطئا رأسه ويمشي ببطء ونزل للطابق الثاني لكي يخرج من المستشفى وفي تلك الحالة ودون أن يشعر ينتبه له الحارس وينادي عليه ويسرع له ويوبخه.

- هذا أنت أيها الوغد لما عدت ألم تستحي بعد؟

وفي هذه الأثناء تتصاعد الأصوات للطابق الذي تتواجد فيه سلوى، اتجهت لترى ما الذي يحدث وكان إلى جانبها ذلك الشاب، وما من اقتربت حتى لاحظت زيد.

- ما الذي جاء به هنا؟ لما عاد؟، ثم سألها ذلك الشاب: من هذا؟ أتعرفينه؟
- لا لا شيء إنه مريض لا غير، أحس ذلك الشاب بخطب ما في سلوى ثم نادى على الحارس وكانا يعرفا بعضهما البعض.
- الشاب للحارس: من هذا؟
- شخص متطفل يحتاج للرعاية من جديد.

بعدها اتجه الشاب للحارس وهذا تحت أنظار سلوى (أحمر وجهها وخافت)

- مصيبة يا إلهي ماذا أفعل هذا ماكنت أخشاه لم عدت الأن لما؟

وكانت تقصد سلوى هنا زيد، وما إن وصل ذلك الشاب جر الحارس زيد لغرفة فارغة وادخله فيها لكي لا يلفت الإنتباه ففي الأخير هذا مستشفى، وكان معه الشاب سأله من هذا؟

- هذا شخص كان يتحرش بسلوى منذ مدة وحذرته أن لا يرجع ولكن يريد أن يذوق بعض اللكمات.
- ماذا؟ اكان يتحرش بأختي سلوى؟ (نظر اليه نظرة خاطفة وعبس وجهه).

وفي هذه اللحظات تدبُ الحياة من جديد في زيد عند سماع ذلك، ولكن أدرك أخيرا أنه في موقف لا يحسد عليه، بعدها:

- أتركني أتركني أريد أن أتكلم مع هذا الوسيم لوحدنا أريده في موضوع معين.
- لا لن يكون لك هذا تريد أن تستفرد به هل تعتقد انني غبي؟.
- لا عليك دعني لأرى ماذا يريد هذا الخصيص.
- حسنا أنا عند الباب.
- شكرا لك سأبد أنا الكلام سأحكي لك قصتي وانت احكم علي وافعل بي ما تريد ولن اقاوم وهذا وعد مني.
- أياك والكذب هيا هات ما عندك.
- زيد: حسنا أنا اسمي زيد وأبلغ من العمر 35 سنة، مؤخرا قضيت أربعة سنوات من عمري ظلم في السجن جراء ما كنت أعتقد أنه يوصف بالفضيلة، حاكت ضدي المؤامرات، وعند دخولي السجن لم أسلم من ذلك فكنت أتعرض للمساجين الضرب الشتم وأنا لم أفعل شيء.

- وفي إحدى المرات دخلت أحد المستشفيات التي كانت تابعة للسجن، وفي تلك المستشفى رأيت فيها ممرضة كانت في غاية اللباقة والاحترام كانت تواسيني وتنصحني بالابتعاد عن المشاكل، في تلك اللحظة أعجبت بها وكان إعجابي طاهرا نقيا خاليا من الشوائب، تمنيت آنذاك لو كنت حرا وأطلب يدها بالحلال، ولكن للأسف لا أحد يستطيع تغير الأقدار، بعدها تمت تبرئتي ، لذا عزمت البحث عن سلوى وكان ذلك حتى وصلت لها، في الحقيقة هي لم تتذكرني وهذا ما أحزنني، وفي تلك الوهلة أخبرتها بأنني معجب بها وأريد أن أتزوجها، هذه هي قصتي.

- ربما لا تدري من أنا ولكن إن كنت تريد أن تدق باب الحلال فالباب مفتوح، كان لك أن تسأل كما سألت عنها وتأتي منه أحسن.

- أوافقك الرأي ولكن أنا أردت أن أعرف رأيها أولا قبل أن أقدم على أي خطوة
- حتى وإن، الأعراف تبقى كما هي، على كل صدقتك، أنا أخوها تامر.
- وأنا زيد أتشرف بمعرفتك.

***

القطة

بعدها نادى تامر على ذلك الحارس وأخبره بكل شيء حينئذ اعتذر من زيد لأن الأخير لم يكن يريد الأذى لسلوى، ثم اجتمع كل من زيد وسلوى وشقيقها.

- أختي سلوى يدعي هذا الشاب انكِ قبل أربعة سنوات عالجته في أحد المستشفيات التابعة لأحد السجون هل هذا صحيح؟.
- آه ربما يقصد مرحلة تدريبي نعم أخي عملت هناك وعالجت العديد من المساجين لهذا لم أتذكره.
- تذكري جديدا أختي.

قاطعه زيد لو سمحت أترك لي المجال ربما تتنشط ذاكرتها.

- حسنا تفضل
- "سلوى" أنا كنت سجينا مليء بالكدمات آنذاك و عالجتني إلى جانب ذلك الطبيب الذي عملتِ بجانبه، وكنتِ دائما تنصحني بالابتعاد عن المشاكل، حسنا في اليوم الموالي دخلت قطة الى غرفتي وكنتِ في الغرفة منهمكة بتغير ضمادات جسمي وفي تلك اللحظة ابتسمتي وتعجبتي لذلك.
- وأخبرتكِ: انظري إنها قطة جميلة "حتى هي وتريد أن تعالجها سلوى"، وأتذكر بعدها انكِ حملتيها وكان اسمها: "سيسي".
- آه صحيح تذكرت لقد كانت مختفية لمدة حتى ظهرت ذلك اليوم في غرفة من غرف المستشفى الآن تذكرت كل شيء، هذا أنت يومها كان جسمك مغطى بالدماء والكدمات، أنا آسفة لو لم تذكرني بالقطة لما تذكرتك، تلك القطة كنت متعلقة بها جدا.
- اعلم ذلك يومها أخبرتني بذلك.
- والأن يا آنستي هذا الشخص ينتظر ردك لكي يرسل أهله إلينا، بشرط أن لا تجيب الأن، زيد أهملنا بعض الوقف أنا وأختي، فالموضوع كما تعلم ليس كلمة تقال فقط.
- كما تريد حتى أنا أرى أن تفكر سلوى جيدا فالقرار يعود إليها.

في تلك اللحظة أراد شقيق سلوى أن يعرف أكثر عن زيد حيث لا يعلم عنه أي شيء ولابد له أن يتحقق بنفسه وهذا ما كان.

ومرت الأيام وبحث "تامر" في سيرة "زيد" وتبين له بأن "زيداً" إنسان مسالم، دخل السجن وخرج منه مثل ما أخبره "زيد" حتى أن الناس وجيرانه مدحوا أخلاقه خصوصا قبل دخوله السجن، كما يقطن مع والدته وشقيقه ويعمل في ورشة نجارة خاصة به، بعدها أخبر "تامر" أخته بذلك وتركها تختار مصيرها ففي الأخير يعود لها القرار، أما عن "سلوى" بعدما تذكرت كل شيء وعرفت من أخيها عن الشاب وافقت لكن بشرط، وكان ذلك الشرط أن تستمر في عملها بحيث لا تريد أن تضيع تلك السنون التي تعبت فيها وشقت ودرست تذهب هباء منثورا.

بالمقابل كان موقف زيد إيجابيا ووافق مباشرة كيف لا وهو ينتظر هذا اليوم بشوق، كما تبين لزيد فيما بعد أن "سلوى" و "تامر" كانا يتمين حيث توفي والدهما في حادث، لذا كان "تامر" الشقيق الأكبر لسلوى وهو بمثابة الأب والأم لها، بعدها استقر "زيد وسلوى" في بيت لحالهما لأن بيت أهليه لا يتسع لهم جميعا، كما أن شقيقه "عمار" فضل البقاء مع والدته بعد الاتفاق هو وزيد.

***

الزيارة

وهكذا وُفِق زيد للزواج من سلوى وواصلا معا بناء حيتهما ومواجهة عراقيل الحياة، وذات يوم بينما زيد عائد للمنزل تذكر أصدقائه في السجن فعزم على زيارتهم في اليوم الموالي حيث كان يصادف يوم الثلاثاء وهو موعد الزيارة، ولحظة وصول زيد للمنزل أخرج مفاتيح الباب و فتح الباب بعدها دخل وشم رائحة زكية تنبعث من المطبخ.

- أمممم ماهذه الرائحة التي تجعل الشبعان جوعان!
- هذا أنت عزيزي.
- شبح هذا أنا ! ومن عساه يكون.
- (مبتسمة) . اعلم تفضل بالجلوس يكاد يحضر الطعام
- حاضر أنا أنتظر فلا يوجد أجمل من يكون البطن ممتلىء.

وبعد وجبة العشاء استلقى لينام و نام، بعد ذلك وفي تلك الليلة رأى حلما وكان ذلك الحلم كأنه داخل نفس الزنزانة لكن كانت مقفلة من كل جانب ولا يوجد لها مخرج وسدت من كل صوب وفجأة رفع رأسه للأعلى ووجد أن سقف الزنزانة أصبح أطول وفي ذلك السقف نافذة لكن كان الارتفاع شاهقا، فجأة بدأت تنزل منها قطرات ، ووقعت بعض تلك القطرات على وجه زيد وتحسسها بيده ولاحظ بأنها دماء، بعدها لوهلة وجد نفسه في بركة من الدماء تلجمه إلجاما وكان يصرخ ويصيح و يضرب بيديه على الجدران حاول أن يتسلقه دون جدوى حتى وصل إلى وجهه وهنا استيقظ زيد مرعوب.

- خير إن شاء الله مابك يا زيد؟

وكان زيد يصب عرقا

- لا لا شيء أريد ماء اعطيني ماء
- حسنا حسنا

وفي الصباح حاولت سلوى أن تعرف سبب توتر زوجها ليلة البارحة، وأخبرها أنه رآى حلما مزعجا أرقه وهذا كل ما في الأمر، فهي ومنذ زواجها منه كانت هذه أول مرة تراه بهذه الحالة. بعدها غادر زيد المنزل وسافر للذهاب الى السجن، والتقى بأصدقائه هناك وسعدوا لذلك وأخبرهم عن حالته وما حدث له من أمور وكيف تغيرت حياته بعد أن صبر وثابر، وفي هذه الأثناء سمع صوت صراخ سجين سأل أحد أصدقائه:

- من هذا؟
- هذا المدعو "الغول" سجين تم نقله الى هنا مؤخرا بعد أن كان في سجن آخر.
- هذا "الغول" اذن يستحق ذلك لقد وقع في شر أعماله ولكن ما به؟ لما هو على هذه الحالة؟

- لقد جن يدعي أنه يرى شخصا في زنزانته.
- زنزانته؟
- نعم بالمناسبة يا زيد أنت أيضا كنت تعاني مما يعانيه هذا الشخص كيف حالك الأن على ما يبدو أنك تحسنت.
- الحمد الله تحسنت بعد خروجي من السجن، أنت تعرف معاناة السجناء هنا لم أتحمل تلك الأيام مما أنهارت أعصابي.
- الحمد الله.

وفي تلك اللحظة ينادي المأمور على الحارس أن يرجعوا ذلك الشاب على الزنزانة رقم 77 وكان ذلك تحت أنظار زيد.

- حسين هذا السجين الذي يصرخ هو في نفس الزنزانة التي كنت أنا فيها؟
- نعم آه نسيت أن أخبرك بذلك، ولكن لما تسأل؟
- لا لا شيء مجرد سؤال.

وفي هذا اللحظة ينادى على حسين لنفاذ وقت الزيارة بعدها ودع حسين زيد، ثم عاد زيد من حيث جاء وفي هذا اللحظة وقبل أن يصل إلى المخرج يشعر زيد بقشعريرة مألوفة فجأة تختفي، هنا زيد أسرع في خطواته وتأسف في نفسه لأنه عزم على أن لا يعود الى هذا المكان.

هذا من جهة و من جهة أخرى وفي المقابل كانوا حراس السجن يودون السجين إلى الزنزانة رقم 77 وهو في حالة من الهيسترية والضحك والصراخ والبكاء في نفس الوقت، ثم زج به داخل الزنزانة وأغلقوها وغادروا، وفي هذه الأثناء كان المأمور يحاور الطبيب على الزامية نقل ذلك السجين للمصحة، وأردف قائلا:

- هذا ما يخصني امتلاء السجن بالمجانين.

وبالعودة لسجن المسجون في الزنزانة 77 في هذه الأثناء أخرج شفرة حلاقة كان قد أخفاها عن الحراس وبدأ يقطع في نفسه وانفجرت الدماء منه كسيل جارف وهو يضحك و يصرخ حتى انقطع صوته، وعم الصمت في الزنزانة فجأة، ثم يُسمع صوت عالي آخر مخيف كان أول مرة يسمعه السجناء والحراس يقول: "أنا ساتان أنا ساتان قاهر الملوك و الجآن".
بعدها أسرع الحراس إلى مصدر الصوت: وفتحوا تلك الزنزانة وصُعقوا لهول ما رأوه...

***